مطبوعات كتابي

يصدرها حلمي مراد



من القصص الهندى

ألف ليلة وليلة الهندية

من الأساطير الهندية القديمة

الف ليلة وليلة الهندية



TALES FROM

ANCIENT INDIA

الثمن : ١٢ قرشا



مطبوعات

كتابى

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد

الكتاب الثامن والستون

ألف ليلة وليلة الهندية

ترجمة : رمسيس شكرى

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦

مجموعة كتـــابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها ستة وتسعون كتابا ، يضاف اليهـــا كتاب جـديد فى اول كل شهر .

مطبوعات كتابى

(الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها ثمانية وستون كتابا ، ومجلدان خارج السلسـلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو » ، وتطلب قائمة باسماء الكتب جميعا من الادارة .

الاشتراكات

• تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :

ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة

• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى ج.ع.م والسودان والمملكة السعودية والاردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة اجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الاخرى والبلاد الاجنبية فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة اجر البريد المسجل .

ولمن شاء ان ترسل له الاعداد بالبريد الجوى المسجل ، ان يدفع فرق الرسوم .

• ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عـادى . وللمشتركين فى البلاد الاخرى أن يرسلوا القيمة بشيك على احد بنوك القاهرة ، او تحويلات مصرفية ، او كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما ، على ان يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر . علما بان سعرها فى مصر ٣٧ مليما . ومن الممكن لمن فى السودان ارسال القيمة بحـوالة بريدية .

عزيزى القارىء :

لا تمر فترة من الزمن الا وتطالعنا صحفنا ومجلاتنا بمعركة يتهم فيها النقاد بعض أدبائنا وفنانينا بسرقة انتاج غيرهم من الفنانين والروائيين القدامى ونسبته الى أنفسهم . ولسنا هنا فى مجال التحدث عن السرقات الفنية . أما السرقات الأدبية فنرغب فى توضيح حقيقة ثابتة عنها ، ربما غفل عنها البعض ، وهى الحقيقة التى عبر عنها أحد الكتاب الفرنسيين فى القرن الماضى - ولعله « جوستاف فلوبير » - بقوله ان الروائيين - بما فيهم نفسه - قد توقفوا منذ زمن طويل عن خلق وقائع جديدة فى رواياتهم ، وانهم يرددون ما سبقهم اليه قدامى الكتاب ، مع احداث تغيير بسيط فى البيئة والتقاليد والعادات التى تدور فى أجوائها أحداث الرواية ، والتى تختلف من شعب الى شعب ومن جيل الى جيل!

ولعل أحدث ما قيل بهذا الصدد قول الروائى المعاصر « سيمينون » ، الفرنسى المولد والامريكى الجنسية ، والذى يطلق عليه « زولا العصر الحديث » لوفرة الروايات التى الفها ، هو قوله : **« ليس هناك سوى ثلاثون فكرة يمكن أن تصور فى قصص وروايات . ولذلك لا انصح أى روائى بأن يقرأ انتاج غيره من الروائيين والقصصيين » ..**

وقد وقع فى أيدينا - منذ شهور قليلة - كتاب صدر حديثا فى بلدان الغرب ، ويضم بين دفتيه مجموعة كبيرة من الاساطير الهندية ، التى ظلت الالسنة تتناقلها منذ أجيال طويلة مضت ، حتى تنبه بعض الادباء الهنود فى القرن العاشر الميلادى الى قيمتها الادبية ، من حيث أنها تراث

انسانى خالد ينبغى أن يحفظوه من الضياع ، فبدأوا فى جمعها وتنقيحها ، ولم يلبثوا أن أطلقوا عليها اسم «محيطات من أنهار الغرام الاعظم» . غير أنهم احتفظوا بهذه المجموعة فى لغتها الاصلية ، اللغة السنسكريتية ، فظلت مئات السنين مجهولة لغير العارفين لهذه اللغة ، حتى قيض لها المستشرق الالمانى « ج . أ . فان بويتينين » ، الذى ترجمها الى اللغة الالمانية ، ومنها ترجمت الى عدد كبير من اللغات الحية !

وما أن قرأنا هذه الاساطير حتى هالنا التشابه الواضح بينها وبين عدد لاحصر له من شوامخ أعمال الكتاب العالميين . ففى كتاب « **قصص ماجنة** » الذى ألفه الكاتب الفرنسى المشهور « أونوريه دى بلزاك » — والذى قدمناه لك باسم (ليالى بلزاك) أو (ألف ليلة الفرنسية) فى العدد (**٣٤**) من « مطبوعات كتابى » — نجد تشابها واضحا بين أحداث عدد كبير منها وبين هذه الاساطير ، مما يجعلنا نجزم بأنه — على أقل تقدير — قد تأثر بها . وفى كتاب (**ديكاميرون**) للكاتب الايطالى المعروف « **جيوفانى بوكاشيو** » — أو (ألف ليلة وليلة الايطالية) ، الذى قدمنا لك جزءا منه فى العدد (**١٣**) من « مطبوعات كتابى » — نرى هذا التشابه أيضا ، ولا سيما فى قصة « زهرة العفة » ، احدى قصص هذا العدد .

بل ان « **توماس مان** » الكاتب الالمانى العملاق الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٢٩ ، اقتبس احدى قصص هذه المجموعة — وهى قصة « الزوجة الحائرة » — وكتب منها رواية فكاهية ، مثلت فى احدى دور «الاوبرا» الامريكية

ونالت نجاحا ساحقا . كما أن قصة «الاميرة النائمة» التى كتبها ((**هانز كريستيان اندرسن**)) ، نستطيع أن نجد لها أصلا فى قصة «الحساسون الثلاثة» !

بيد أننا لو تمعنا فى الامر لوجدنا أن هذا التوارد فى الخواطر ليس غريبا على الاطلاق . فمن المعروف أن الادب الهندى من أقدم الآداب التى عرفت بعد الادب الفرعونى والعبرى والاغريقى ، وقد كان له أثره البارز فى جميع الآداب التى انتعشت فى الالف عام الاخيرة ، ولاسيما الآداب الفارسية والعربية وآداب أوربا الجنوبية . ففى الأدب الفارسى يعتبر كتاب ((**كليلة ودمنة**)) أبلغ دليل على هذا . وفى الادب العربى ، فى ضحى العصر الاسلامى نجد فى « ألف ليلة وليلة » دليلا آخر .. فان القارىء – حين يفرغ من قراءة هذه الاساطير الهندية – لا يحتاج لجهد كبير ليدرك المصدر الذى استمدت منه ألف ليلة وليلة العربية . فما أشبه « ساكتيديفا » بطل قصة « مدينة الذهب » بالسندباد البحرى بمغامراته عبر البحار وتعرضه للعواصف والانواء ، ثم عودته – فى آخر الامر – ظافرا منتصرا . كما أن « ماناهسفامين » بطل قصة «الرجل الذى تحول الى امرأة» هو صورة أخرى من «معروف الاسكافى» أحد أبطال ألف ليلة وليلة .

ومن الغريب أننا حتى فى هذه الاساطير نجد أصولا لها فى مصادر أبعد منها عهدا . فقصة «حكمة ماهوداسا» ما هى الا ترديد آخر لقصة « سليمان الحكيم » عندما جاءته امرأتان تحملان طفلا تتنازعان ادعاء أمومته ، فقضى بأن يقطع الطفل الى نصفين بالسيف ، وبأن تأخذ كل من المرأتين

نصفا منه . فآثرت الام الحقيقية أن تتنازل عن الطفل لغريمتها على أن تتسبب فى موته !

***

وليس هدفنا الوحيد من ترجمة هذه المجموعة من الاساطير هو تعريفك بالمصدر التى استمدت منه معظم الاعمال الادبية المعروفة ، بل أن ثمة هدفا أجل وأسمى : ذلك أن هذه الاساطير تثبت اثباتا قاطعا أن البشر جميعا سواسية ، مهما اختلفت جنسياتهم ، ومهما فصل بينهم من أجيال وقرون . فهم — بغض النظر عن الدولة التى يستوطنون فيها أو طبقة المجتمع الذى ينتسبون اليه — تتنازعهم ذات الاحاسيس والمشاعر : فهم جميعا يحبون ويبغضون ، ويرحمون وتتحجر قلوبهم .. ومنهم الفاضل والشرير ، والكريم والبخيل .. الخ .

ولما كان من أسمى الخدمات التى يقوم بها الادب المساهمة فى خدمة الانسانية جمعاء ، بالتقريب بين شتى شعوب العالم وبين طبقات المجتمعات المختلفة ، فاننا نقدم لك هذه المجموعة لترى بنفسك التشابه بينك وبين أناس مثلك عاشوا على بعد آلاف الاميال ، منذ قرون وقرون سحيقة ماضية . كما يحدونا الامل فى أن تتذوق هذه القصص وأن تتوصل الى ما زخرت به من حكمة عميقة ، الى جوار سلالة أسلوبها وخفة الروح التى تنبض بين سطورها .

والآن نتركك لكى تستمتع بقراءة هذا التراث الانسانى الخالد :

الملك والشيطان

• على ضفة نهر (جودافارى) تقع مملكة (براتيشتانا) .. وكان يجلس على عرشها الملك « تريفيكراماسينا » ، الذائع الصيت ، الذى كان نفوذه يضارع نفوذ الاله «اندرا»(١) .. وقد أعتاد ذلك الملك أن يعقد ندوات أسبوعية ، فى قاعة الاجتماعات الشعبية ، يؤمها أفراد الشعب ، ويتقدمون اليه فيهـا بمطالبهم ومظلماتهم .. وهداياهم . وقد لاحظ الملك أن أحد المتسولين يداوم على حضور هذه الندوات ، ويقدم اليـه – فى كل مرة – هدية من الفاكهة .. فكان يقبل الهدية شاكرا ، ثم يسلمها الى أمين الخزانة الواقف ضمن بطانته .

وذات مرة ، جاء المتسول بهديته من الفاكهة ثم انصرف . وعندئذ لمح الملك قردا قد تحرر من وثاقه وتسلل مبتعدا عن صاحبه . فألقى اليه الملك بثمرة من ثمار الفاكهة ، فما أن قضمها القرد حتى سقطت منها جوهرة ثمينة . فالتفت الملك الى أمين خزانته قائلا : « ان هذا المتسول يقدم هذه الفاكهة منذ عشر سنوات . فماذا فعلت بهـا ؟ » ، فأجابه أمين الخزانة : « لقد كنت ألقيها فى المخزن من النـافذة دون أن أفتح الباب . فاذا شئت بحثت لك عنها ! »

وأومأ الملك برأسه موافقـا . ومن ثم غادر أمين الخزانة القاعة ، ولم يلبث أن عاد بعد هنيهة متهلل الأسارير ، وقـال

---

(١) « أندرا » كبير الآلهة عند الهندوكيين .

للملك : « اننى لم أجد بالمخزن شيئا من الفاكهة . ولكننى وجدت بدلا منها كومة من الأحجار النفيسة » .. فسر الملك بأمانة الرجل ، وأهداه المجوهرات مكافأة له .

حتى اذا عاد المتسول فى اليوم التالى كعادته سأله الملك قائلا : « لماذا تأتى كل يوم – يا سيدى – لتقدم فروض ولائك على هذا النحو الذى يكلفك غاليا ؟ .. سأرفض هداياك منذ الآن مالم تفسر لى الأمر » . وقد تردد المتسول – فى البداية – لكنه لم يلبث أن انتحى بالملك جانبا وقال له : « اننى أرغب فى عمل تعويذة سحرية . وتلزمنى لذلك معونة رجل يتصف بالشجاعة .. لذلك أناشدك – يا أشجع الشجعان – أن تمد لى يد العون ! » .. فأبدى الملك استعداده للقيام بكل ما يطلبه منه ، مما أدخل السرور فى قلب المتسول ، فاستطرد : « اذن ، تعال الى أرض المحرقة المتسعة الرقعة ، فى اليوم الرابع عشر من محاق القمر ، عند منتصف الليل . وستجدنى هنالك فى انتظارك تحت شجرة (الفاتا) » ، فأجابه الملك قائلا : « سأجىء بالتأكيد » .

وما أن حل اليوم الرابع عشر من محاق القمر ، حتى تذكر الملك الأمين الوعد الذى قطعه على نفسه للمتسول . فانتظر حتى غربت الشمس ، ثم تسلل خارجا من القصر الملكى ، متدثرا بعباءة زرقاء داكنة ، قابضا على سيفه بيمينه استعدادا للطوارىء . حتى اذا بلغ المكان المحدد للقاء ، كان الظلام قد خيم على أرض المحرقة ، وغدا الجو مقبضا كئيبا ، تفوح منه رائحة الدخان ممتزجة برائحة الجثث المحترقة ، وبدت له جمرات النار المتخلفة عن الحطب المحترق ، وكأنها عيون شياطين تنظر اليه شذرا وتحيط به من كل جانب ،

كلما خطا خطوة فوق أكوام الجماجم والهياكل العظمية المتخلفة من عدد لاحصر له من الموتى !.. وتعالت فى أذنيه الصيحات المفزعة التى كانت تتردد فى أرض المحرقة ، ملؤها الحقد والفزع الدفين ، تلك الصيحات التى لايمكن أن تصدر الا من اله الخوف !

بيد أن ذلك كله لم يستطيع أن يثنيه عن عزمه ، بل انه على العكس حث الخطى متقدما الى الامام ، وهو يتلفت حوله .. وأخيرا لمح المتسول جالسا تحت شجرة (الفاتا) ، وقد انهمك فى رسم دائرة سحرية ! فبادره قائلا : « ها أنذا قد حضرت يا سيدى المبجل . فماذا تريد منى ؟ » ، وعندئذ رمقه المتسول بنظرة تفيض امتنانا وعرفانا بالجميل ، ثم أجابه : « لقد غمرتنى بفضلك يا صاحب الجلالة اذ أنجزت وعدك . وما دمت قد طوقتنى بهذا الجميل ، أرجو منك أن تتم صنيعك معى فتتجه نحو الجنوب ، حتى تصادفك شجرة (سيستو) قائمة هنالك فى عزلة عن غيرها من الأشجار ، وعلى هذه الشجرة ستجد جثة مدلاة ، فتكرم — يامولاى الشجاع — وائتنى بهذه الجثة ! »

وكان الملك من الذين يوفون بالوعد ، فسرعان ما اتجه نحو الجنوب ، ومضى فى طريقه لايلوى على شىء ، على ضوء الجمرات التى كانت ترسل بصيصا يهديه السبيل . وأخيرا وصل الى شجرة السيستو ، وهنالك رأى جثة رجل مدلاة تتأرجح فى الهواء . فتسلق الملك الشجرة ، وقطع الحبل الذى يربط الجثة بها فوقعت الجثة وارتطمت بالأرض . واذ ذاك ندت عنها صرخة حادة ، وكأنها أحست ألما فظيعا !.. فنزل الملك وأمسك بالجثة فى رفق ، خوفا من أن يكون صاحبها لا يزال

حيا .. بيد أنه بوغت اذ سمع رنين ضحكات تخرج من فم الجثة ، فأيقن أن شيطانا قد سكنها . الا أن ذلك لم يروعه ، وانما واجه الشيطان بشجاعة قائلا : « لماذا تضحك ؟ هيا قم ، ولنذهب فى طريقنا ! »

لكنه لم يكد يفوه بتلك الكلمات حتى اختفت الجثة عن ناظريه ، وما أن راح يتلفت حواليه ، حتى رآها مدلاة ـ مرة أخرى ـ من الشجرة .. **وكان الملك الشجاع يملك قلبا صلبا لايتزعزع ، ولاتفيه حقه أثمن اللآلىء وأنفس الجواهر !..** ومن ثم عاد فتسلق الشجرة ، وقطع الحبل . ثم رفع الجثة فوق كتفيه ، ومضى فى طريقه .. وفيما هو يسير تحدث اليه الشيطان من فوق كتفه قائلا : « سأحكى لك قصة طريفة تخفف عنك عناء الطريق . انصت :

الرجل الذى تحول الى امرأة !

« **تقع** مدينة (سيفابورا) فى أرض نيبال . وفى عصر من العصور الغابرة ، كان يتولى الحكم فيها ملك اسمه « ياساهكيتو » ، ومعناه بيرق الشرف . وكان لذلك الملك وزير يدعى « براجنا ساجارا » ـ أى محيط الحكمة ـ خبر فيه الحنكة والحصافة فى ادارة شئون الدولة . ومن ثم ألقى عليه أعباء الحكم ـ بدلا منه ـ لينغمس هوفى اغتراف ملذات الهوى مع زوجته الفاتنة الملكة « كاندرابرابها » .. ومالبثت الملكة أن أنجبت له ابنة أطلقا عليها اسم « ساسيبرابها » أى « بهاء القمر » .. وان كان ثمة اسم يناسبها فقد كان ذلك الاسم ، اذ كانت تحاكى القمر بهاء ورواء . وكان مرور

السنين لايزيدها الا جمالا وسحرا ، حتى أصبحت امرأة ناضجة ، بالغة الفتنة والاغراء !

وذات يوم ، خرجت الأميرة – مع صويحباتها – الى حدائق القصر ، يستمتعن بمشاهدة المهرجانات التى أقيمت احتفالا بعيد الربيع . وفيما كانت منحنية تقطف باقة من الأزهار ، وقع عليها بصر شاب ، هو ابن أحد أثرياء البرهميين ، وكانت احدى يديها ممتلئة بالورد الذى قطفته لتوها ، فلما مدت يدها الأخرى لتقطف مزيدا من الورد انثنى رداؤها قليلا ، ليكشف عن ثدى ممتلىء ، رخص ، أبيض كالبللور . وكان هذا الشاب – ويدعى « ماناهسفامين » – قد خرج بدوره ليشاهد احتفالات عيد الربيع . فما وقع بصره على مفاتن هذه الحسناء حتى تسمر فى مكانه ، وقد أحس بأنها سلبته لبه . ورغم أن اسمه معناه « مالك عقله » ، الا أن الفتى ، الذى صرعه اله الحب بسهامه الطائشة ، غدا شارد الذهن ، لايملك عقلا على الاطلاق !

ووقف يسائل نفسه : **« من عساها تكون ؟ أتراها ربة اللذات خرجت من خدرها لتجمع الزهور – التى نثرها الربيع تحت قدميها – لتزين بها سهام حبيبها اله الحب ؟ .. أم لعلها حورية من الحوريات ، خرجت من الغابة لتقدم فروض الطاعة والولاء للاله كريشنا ؟ »** .. وفيما هو واقف هكذا ، وقد تسمر فى مكانه ، لايحير حراكا ، لمحته الأميرة . فما أن وقع بصرها عليه حتى حسبته اله الحب مجسدا ! وعلى الفور استولى عليها حنين طاغ اليه ورغبة عارمة فيه ، حتى لقد نسيت تماما كل شىء عن أزهارها ، وجسدها ، وروحها !

ووقف العاشقان يختلس كل منهما النظر الى الآخر فى صمت وخجل فطرى ، أضفى عليهما مظهرا خلابا !

***

وفجأة انبعثت حولهما صرخات تنم عن الفزع ، فلما رفعا رأسيهما ليتبينا جلية الامر ، وقع بصرهما على فيل ضخم ، رهيب المنظر ، يندفع نحوهما فى سرعة جنونية ، مكتسحا الاشجار الضخمة التى تعترض طريقه ! .. وكانت حرارة الجو قد أهاجته وأثارت ثائرته ، فحطم السلاسل التى كان مقيدا اليها ، ثم انطلق هاربا ورنين السلاسل يصلصل خلفه . فاستولى الرعب على رفيقات الاميرة وولين الادبار هاربات ، تاركات اياها لمصيرها !

ولكن « ماناهسفامين » ماكاد يلمح الخطر الذى يهدد حياة محبوبته ، حتى اندفع نحوها ، ورفعها بين ذراعيه القويتين ، المفتولتى العضلات ، مبتعدا بها عن طريق الفيل الهائج . **وعند ما أنزلها الى الارض كان قلبها يخفق فى قوة وعنف ، وقد تضاربت عواطفها بين الخوف وذلك الاحساس الجديد الذى خدر أعصابها ، والذى لم تخبره من قبل !** .. فلما زال الخطر ، عادت رفيقاتها اليها ـ ينتابهن احساس بالخجل لهربهن ـ وأحطن بها ، ثم رحن يثنين على شجاعة البرهمى الشاب !

وفيما كن يقدن الاميرة الى القصر ، التفتت خلفها ، ووقفت لحظة ترمق محبوبها البطل بنظرات تنم عن العشق والهيام .. حتى اذا بلغت القصر لم تستطع أن تبعد طيفه عن ذاكرتها ، بالليل أو بالنهار ، وأحست بوخزات الهوى

الجامح تقض مضجعهـــا ، وقد باتت تحترق بنار الحب الملتهبة !

أما « ماناهسفامين » فقد وقف يتابعها بنظراته الملتاثة ، حتى اختفت عن أنظاره داخل القصر . وعندئذ راح يناجي نفسه قائلا : « أواه !.. لم تعد الحياة تطيب بدونها !.. فلا ملجأ لى سوى معلمى « مولاديفا » ، الساحر الاريب !»

***

وانتظر « ماناهسفامين » الصباح بفـــارغ الصبر ، وقد بات ليلته يتقلب على الجمر ، فما كادت الشمس ترســل أشعتها الذهبية على الكون ، حتى كان البرهمى الشـــاب واقفا يطرق باب دار معلمه الساحر ، زعيم اللصـــوص . وحين فتح له الباب وجده جالسا مع تلميذه « قمر » — الذى لم يكن يفارقه أبدا — يمارسان طقوس السحر العجيبة ، التى كانت تضارع فى غرابتها غموض قبة السماء ! .. وخر الشاب راكعا أمام الساحر ، وألقى بين يديه بالمشكلة التى تنغص عليه حياته ، والامنية التى يتعذر عليه تحقيقها دون عونه . فابتسم « مولاديفا » له ، واعدا اياه خيرا !

وأخرج زعيم اللصوص من جرابه قرصا سحريا ، ما أن وضعه فى فمه حتى تحـول الى برهمى عجـوز ، ثم أعطى الشاب قرصا آخر ، فانقلب — على الفـور — الى فتـاة صاعقة الجمال . واصطحب الساحر العاشق المدنف — بعد أن تحول الى فتاة فاتنة — الى الملك ، والد الفتاة . وهنالك فى قاعة الاستقبالات الملكية جثا أمام الملك ، ثم قال : « لقد رزقتنى السماء بولد واحد ليس لى فى الدنيا سواه . ولمــا بلغ طور الشباب طلب منى أن أبحث له عن زوجة تؤنس

وحدته . فأخذت أتنقل هائما من بلد الى آخر ، حتى عثرت له — آخر الامر — على فتاة تصلح له . فاستأذنت والديها فى اصطحابها معى . لكننى عند ما عدت الى هنا وجدت ابنى قد فاض به القلق ونفاد الصبر ، فخرج يبحث عنى . وها أنذا الآن ، يتعين على أن أبحث عنه بدورى . بيد أننى لا أعرف أحدا أستطيع أن أأتمنه على الفتاة . ومن ثم أحضرتها اليك — يامولاى — لتعيش وديعة فى كنفك الى أن أعود . فأنت حامى حمى الشعب ، وملجأه عند الحاجة! »

وخشى الملك أن تحل به لعنة البرهمى العجوز ، اذا رفض أن يلبى طلبه ، فنادى ابنته وقال لها : « **احتفظى بهذه الفتاة — يا ابنتى — معك واكرمى وفادتها . ولتعش وتأكل فى غرفتك وتنام فى سريرك !** » .. وما أن اطمأن الساحر الى أن « ماناهسفامين » قد أصبح قريبا من معشوقته ، متخفيا فى هيئة فتاة ، حتى غادر القصر !

وبعد أيام قليلة ، أصبحت الاميرة تثق بالفتاة ثقة عمياء ، فجعلتها موضع سرها ونجواها . وما لبثت هذه الفتاة المزيفة أن اكتشفت أن الاميرة تخفى — تحت ستار المرح واللهو — حزنا وقلقا دفينين ، وانها تعانى الارق فتقضى الليل تتقلب فى فراشها لا يغمض لها جفن .. فجف عودها وشحب وجهها . وذات ليلة همس لها « ماناهسفامين » فى أذنها ، وهو ينام الى جوارها قائلا : « لماذا أراك تعيسة هكذا ياحبيبتى ؟ ان كل يوم يمر يزيد من شحوب لونك ، ويخمد الحياة فى جسدك الذى بات نحيلا كالعود الجاف ، وكأنك تقاسين لوعة الفراق من حبيب لك . فأخبرينى ماذا دهاك . أتراك لا تثقين بى ؟ هل بدر منى ما يدعوك الى اساءة الظن بصديقتك التى تحبك ولا ترجو لك سوى

الخير . أقسم أن لا أصيب طعاما ، الا اذا بحت لى بما يشغل بالك ! »

فتنهدت الاميرة وقالت هامسة : « انك تعلمين أن الامر ليس كذلك » فانى أوليك ثقة لا مزيد عليها . بيد أننى لا أريد أن أشغل بالك بمشكلة لا أجد لها حلا . ومع ذلك فها أنذا أدلى اليك بالقصة بحذافيرها .. فانصتى :

***

« **خرجت** ذات يوم لاشاهد مهرجان عيد الربيع » واذا بى ألمح برهميا شابا يتمتع بقوة كالفولاذ ، ورباطة جأش لا أجد من الكلمات ما يكفى لوصفها .. وكان لا يفتأ يرمقنى بنظرات خجلة ، **فخلته الربيع وقد بعث - بنظرة من عينيه - صديقه الحب الى الحياة !** .. كان بجماله الخلاب يزيد من روعة الطبيعة وجمال الكون . ولكننى ، واأسفاه ، بينما كنت أتطلع اليه وعيناى تلتهمان أكسير الجمال الذى لاح فى وجهه المتلالىء كطلعة القمر وقت اكتماله ، وقد تولتنى رغبة جامحة فى أن أنطلق وأرتمى بين ذراعيه ، فى سرعة طيور الجنة .. اذا بى أسمع زمجرة رعد عاصف ، وكأن يوم الحشر أقبل قبل أوانه ، وما لبثت أن شاهدت فيلا ضخما ، أصابه الجنون ، فحطم قيوده ، وهجم علينا فى سرعة رهيبة ، والعرق يتفصد من جسده بغزارة . وقد فزعت رفيقاتى فولين الادبار ، ووقفت فى مكانى كأننى تسمرت فى الارض ، من فرط الفزع والرعب .. لكن البرهمى لم يبال بالخطر ، واندفع نحوى بشجاعة الاسد ، ورفعنى بين ذراعيه ، وركض بى بعيدا عن طريق الفيل .. وكان لاحتكاك جسده بجسدى وقعا غريبا ، فسرت

الرعدة فيه ، وأحسست به وكأنى قد فرغت لتوى من تدليكه بالمسك ، أو كأننى قد أفرطت فى احتساء خمر الآلهـة . وعند ما عادت بى رفيقاتى الى القصر ، انتابنى احساس من ألقى به من السماء الى الارض !

« ومنذ ذلك اليوم ، صرت – حتى حين أكون مستيقظة – أرى سيد حياتى بجانبى ، وقد شق طريقه الى ، مستعينا بشتى الحيل الماكرة . أما فى الليل ، فيتراءى لى فى المنام ، وهو يعتصر جسدى بذراعيـه المفتولتين ، ثم يشبعنى – رغما عنى – عناقا وقبلات ، لا تلبث أن تبدد حيائى وخجلى!

« وها أنذا بعيدة عن متناول يده ، لا أعرف عنه شيئا .. لاأعرف حتى اسمه ولا أسرته .. ولا أى شىء على الاطلاق . كما أننى لا أعرف طريقة تجمع شملنا .. وهكذا بت اصطلى بنار البعد عن سيد روحى ، مما يكاد يدفعنى الى الجنون !! »

***

وكان لكلمات الاميرة فى سمع العاشق المدنف ، نشـوة ألذ من النشوة التى لخمر الآلهة ، فراح قلبـه يرقص بين جنبيه ، وقد أدرك أنه آن له أن يميط لها اللثام عن حقيقته ، فأخرج القرص من فمه . وعنـدئذ رأت أمامهـا شابا ، وسيما ، قويا ، يفيض رجولة وفحولة . ما لبث أن قال لها : « حبيبتى ذات العينين الفاتنتين اللتين تشبهان زهرة النرجس . انه أنا ذلك البرهمى الذى فتنتـه نظراتك فى الحديقة ، وسلبه هواك رشده . **لقد انتابنى حزن فظيع ، اذ انتهى لقاؤنا على هذا النحو المفاجىء ، وكان من نتيجة أساى وحزنى أن تحولت الى فتاة ، كما كنت ترينني منذ**

لحظة . وقد آن لنا الآن أن نتخلص من تلك الآلام التى احتملناها طويلا ، ولنبدأ حياة سعيدة ، يظلها حب خالد لا يموت ! .. فان صبر عاطفتى قد نفد ، ولم أعد أطيق الانتظار !

فما رأت الاميرة فاتنها يبعث هكذا أمام ناظريها ، على حين غرة ، حتى فاضت روحها عشقا وصبابة ، ولم تلبث أن ارتمت على صدره ، وقد استسلم كلاهما للشوق واللهفة اللتين اعتملتا طويلا فى صدريهما ، ووهب كل منهما نفسه للآخر على شريعة « جاندرهافاس » (١) ، وقضيا ليلتهما يحتفلان بغرامهما المتوقد ، ويجرعان كؤوس الهوى مترعة ، حتى الصباح !

ومنذ تلك الليلة ، عاش « ماناهسفامين » فى قصر الملك بهيئتين مختلفتين .. فكان فى النهار يضع القرص فى فمه فيبدو فتاة ، وفى الليل يخرج القرص من فمه فيعود رجلا !

***

وكان للملكة «كاندرابرابها» ــ زوجة الملك «ياساهكيتو» ــ أخ يدعى « مرنجانكاداتا » . وقد أقام ذات يوم حفلة ، دعا اليها الملك وأسرته وحاشيته ، بمناسبة زواج ابنته « مرنجانكافاتى » من الفتى البرهمى « برجنا ساجارا » ، ابن مستشار الملك وصفيه الامين . فذهبت الى هناك الاميرة « بهاء القمر » ، واصطحبت معها البرهمى الشاب «ماناهسفامين» ــ الذى كان يبدو فى هيئة عذراء جميلة ــ كوصيفة من وصيفات الشرف !

---

(٢) شريعة « جاندهارفاس » هى الشريعة التى كان يدين بها موسيقيو الآلهة فى زواجهم . وكان الزواج فى عرفهم لا يتطلب سوى موافقة الزوجين دون التقيد بأية مراسم أو اجراءات أخرى !

وبدا « ماناهسفامين » بين باقى الوصيفات ، كالقمر تحيط به النجوم ، **فما أن وقع بصر العريس – ابن المستشار – على العذراء المزعومة ، حتى أصابت سهام الحب قلبه ، وأفقدته الفتنة رشده !** .. وفى تلك الليلة ، صحب عروسه الى مخدعه ، الا أن الغرفة المؤثثة أفخم تأثيث ، والمزينة بفاخر الرياش ، بدت له خاوية على عروشها ، لاروح فيها .. حتى اذا رفع النقاب عن وجه عروسه ، غامت عيناه ، واختفى عن ناظريه وجهها ، ليبدو بدلا منه وجه الغادة الفاتنة التى لم يقع نظره على أبهى منها طلعة ، ولا أرشق قواما !.. فأحس فى هذه اللحظة كأن ثعبان الهوى الجامح قد عض قلبه ، بأنيابه التى تقطر السم الزعاف ، ولم يلبث أن سقط على الارض فاقد الوعى !

***

وهرع المدعوون – وعلى رأسهم أبو العريس – على صوت ولولة العروس الملتاعة . وتمكنوا – بعد جهد – من اعادته الى وعيه . **الا أنه كان قد باح خلال هذيانه بسر وجيعته ! فاضطرب الاب اضطرابا شديدا ، اذ حسب أن ابنه قد فقد عقله** . وسرعان ما بلغ الأمر مسامع الملك ، فبادر بزيارة الشاب الذى أضناه الحب ، وبلغ به المرحلة السابعة من مراحل المرض ، فدعا مجلس الوزراء على الفور الى اجتماع عاجل ، لمناقشة المشكلة ، علهم يصلون الى حل بشأنها !

وعرض الملك الامر على المجلس قائلا : « ان تلك الفتاة التى فتنت ابن المستشار ، هى ابنة رجل برهمى ، أودعها عندى لتكون فى رعايتى ، ومن ثم فلست فى حل من تزويجها لمن أشاء . وفى ذات الوقت ، أجدنى مضطرا الى تزويجها

لهذا الشاب ، والا فانه سيصـــل ـ لا محالة ـ الى آخر مراحل المرض : المرحلة القاضـية ! واذا حدث ذلك ، فان اباه لن يلبث أن يلحق به . وبموت المستشار ستتقوض دعائم المملكة . فأخبرونى ، ماذا عساى أصنـع ؟ » ..

فأجابه الوزراء : « منذ قديم الازل ، كانت أولى واجبـات الملك هى المحافظة على ما يتمتع به رعاياه من فضـائل . ولـما كان المستشارون يمثلون الهيئة التنفيذية فى الدولة ، وهم الذين يقع على عاتقهم القيام بهذا الواجب ، فان موت أحدهم سينجم عنه ـ بلا جدال ـ انهيـــار الفضيلة !.. ومن ثم ، ينبغى أن تتدبر الامر ، وان توفى المشكلة حقها من البحث ، مما سيؤدى بك حتما الى تغليب مصلحة الدولة العليا على مراعاة أصول اللياقة والواجب ، فان الخطر الذى يهدد الفضيلة هو خطر جدى ، لا يمكن تجاهـله . لذلك ننصحك بان تزف الفتاة ـ ابنة البرهمى الذى تركها فى رعايتك ـ الى ابن المستشار . ولا شك انك بذلك ستخون أصول الثقة والرعاية ، بيد أن هذا أمر بوسعك أن تعالجه فى الوقت المناسب ! »

ومن ثم لم يجد الملك مندوحة من الاستسلام للامر الواقع فوعد المستشار بتحقيق رغبة ابنه ، وحدد له موعدا لاتمام مراسم الزفاف . ووصـل أمر هـذا الاتفـاق الى مسامع « ماناهسفامين » ، فطلب مقابلة الملك فى جلسة خاصة ، قال له فيها : « ياصاحب الجلالة . انك تعد العدة لتزويجى من أحد رجال حاشيتك ، بينما جاء بى أبى الى هنا لاتزوج من رجل آخر . فان كنت مصرا على ارتكاب هذا الذنب العظيم ، فهذا شأنك ، وعليك وحدك تقع تبعة الاثم الذى ستقترفه . بيد أنى سأمتثل لكل ما تأمر به ، ولكن

أشترط لذلك شرطا واحدا : **وهو أن لا يضاجعنى زوجى قبل أن يحج الى الاماكن المقدسة ، فى رحلة تستغرق ستة شهور .** هذا هو الشرط الذى أصر عليه . وأقسم انك اذا رفضته ، سأعض لسانى حتى أموت ! »

وقد نقل الملك الشرط الذى اشترطه « ماناهسفامين » لاتمام الزفاف الى ابن المستشار . فوافق هذا - دون تردد - عليه ، وقد بدا له شرطا هينا ، مقابل الاستحواذ على مالكة فؤاده وسالبة رشده . وبالفعل تمت مراسم الزفاف ، وأسكن العريس زوجته الاولى « مريجانكافاتى » وعروسه المزيفة « ماناهسفامين » فى حصن منيع ، ثم شد رحاله الى الاماكن المقدسة ، تاركا ذلك الرجل - المتخفى تحت هيئة امرأة - يقاسم زوجته فراشها !

وذات ليلة ، بينما كان الخدم مستغرقين فى النوم ، همست « مريجانكافاتى » فى أذن « ماناهسفامين » - الراقد فى فراشها - قائلة : « احكى لى ياحبيبتى قصة مسلية ، علها تجلب النوم الى عينى اللتين شكتا من طول السهاد! »

فراح الشاب - المتنكر بشكل امرأة - يقص على أسماعها بصوت حالم وأسلوب مثير ، قصة الملك « ايللا » - ولى عهد مملكة الشمس - الذى ألقت عليه الآلهة البيضاء لعنتها. **فانقلب - لتوه - الى امرأة تتمتع بجمال باهر سحر العالم أجمع .. وما حدث عندما تلاقت تلك المرأة مع الملك « بوذا » ، فأغرم كل منهما بالآخر ، وما لبثا أن تواصلا فى ساحة المعبد !** .. وكيف أن البطل « بوروروافاس » كان ثمرة هذا الوصال !

واسترسل « ماناهسفامين » فى قصته قائلا : « ومن هذا ترين أنه فى الامكان أن ينقلب رجل الى امرأة، أو امرأة الى رجل — وان كان هذا لا يحدث سوى مرة واحدة كل عدة أجيال — اما انصياعا لامر الهى ، أو بفعل بعض العقاقير السحرية . وفى هذه الحالة ، لابد أن يقع ذلك الشخص — الذى يحدث له التغيير — فى غرام أول من يلاقيه من الجنس الآخر ، وأن يتم بينهما الوصال ! »

فما سمعت الزوجة الشابة ، المضطرمة العواطف — والتى هجرها زوجها فى ليلة زفافها — قصة ضرتها التى باتت توليها ثقتها ، حتى انطلقت تبوح لها بمكنون فؤادها ، قائلة : « لست أعرف ماذا دهانى ! .. **لقد راح جسدى يرتجف ارتجافا فظيعا — كقصبة فى مهب الريح — ونبضات قلبى تزداد عنفا ، وأنا أستمع الى قصتك . فما معنى هذا ؟ .. أخبرينى ياصديقتى ! »**

— هذه علامات الحب ياعزيزتى . أهى أول مرة ينتابك فيها ذلك الاحساس ؟ .. لا أخفى عنك أننى كثيرا ماخبرت هذا الشعور من قبل !

واذ ذاك همست مريجانكافاتى فى اذن رفيقتها بصوت خافت : « يا حبيبتى . أتعلمين أننى بت أحبك أكثر من حياتى ؟ .. لعله من الاوفق أن لا أطلب منك ما أفكر فيه — فانه لامر غير لائق — ولكن ، أليس بوسعنا أن ندخل رجلا الى غرفتنا ؟ » . فرأى « ماناهسفامين » فى عبارتها بشيرا بتحقيق آماله ، وكتلميذ نجيب « لمولاديفا » الساحر زعيم اللصوص ، بادرها بقوله : « اذا كان هذا غاية مرادك، فاننى سأسر اليك أمرا : **لقد منحنى الاله « فيشنو » تعويذة**

سحرية ، أستطيع بواسطتها أن أتحول – فى الليل – الى رجل ! .. ولما كنت لا أحتمل أن أخيب لك رجاء ، فاننى سأستجيب الى طلبك وأتحول الى رجل ، لاجل خاطرك ! »

وأخرج « ماناهسفامين » القرص السحرى من فمه ، فاذا به يتحول أمامها الى شاب ، مليح الوجه ، رشيق القد ، يفيض رجولة وفحولة .. وكانت الكلفة قد زالت من بينهما ، والعواطف قد اضطرمت فى جسديهما ، فاحتفلا سويا بعيد الحب ، فى حماس يناسب المقام !!

وهكذا انقضت الايام ، والبرهمى الشاب يعاشر زوجة ابن المستشار ، متخفيا كامرأة فاتنة فى النهار ، وكرجل عارم الرغبة فى الليل . وما لبث غرامهما أن بلغ أوجه ، فما أن حان موعد عودة الزوج المخدوع ، حتى كانت الزوجة والعشيق يتسللان من المنزل هاربين !

***

وفى اليوم التالى ، تقمص مولاديفا ، أستاذ ماناهسفامين – وكان على علم بمجريات الامور – هيئة البرهمى العجوز ، واصطحب معه تلميذه الآخر « قمر » – وقد اتخذ لنفسه شكل برهمى شاب – وذهب الى الملك « ياساهكيرو » قائلا : **« ها قد عدت من رحلتى ياصاحب الجلالة . والآن رد لى عروس ابنى ! »** .. ولم يجرؤ الملك – فى بادىء الامر – على الافضاء له بأنها قد فرت من منزله ، لكنه لم يلبث أن استجمع شتات شجاعته ، واتخذ صوته لهجة التوسل ، وهو يقول له : « أيها البرهمى . لست أعرف أين ذهبت عروس ابنك . لهذا أناشدك المغفرة . ولكنى على استعداد

لان أعوض خسارة ابنك ، وذلك بأن أزوجه من ابنتى « العذراء » الاميرة « ساسيبرابها ! »

واستشاط مولاديفا - زعيم اللصوص - غضبا ، وهدد بالويل والثبور وعظائم الامور ، وخاطب الملك بلهجة حادة ، خارجا عن طوره . لكنه لم يلبث - آخر الامر - أن بدا عليه الهدوء ، والامتثال للامر الواقع . وعلى الفور عقدت مراسم زفاف الاميرة « ساسيبرابها » على تلميذ مولاديفا « قمر » ، الذى زعم بأنه كان ابنه ! .. وعاد الساحر مع « قمر » والاميرة العروس « ضيـاء القمر » ، الى منزل الساحر ، حيث وجدا « ماناهسفامين » ينتظر قدومهم . **وطالب هذا بأن يتنازل قمر له عن عروسه ، على زعم أنه تزوجها - عندما كانت عذراء - بموافقة معلمه مولاديفا** .. أما قمر فقد رفض التنازل عنها ، وأصر على الاحتفاظ بها ، وصاح بغريمه قائلا : « بل انها زوجتى أيها المأفون . وقد عقد أبوها مراسم زواجنا أمام النار المقدسة » .. لكن الخلاف استمر بينهما ، وكل منهما يأبى الاستماع لمنطق الآخر أو يسلم بوجهة نظره ! »

واستطرد الشيطان قائلا : « والآن أخبرنى ياصاحب الجلالة . من من الاثنين كان أحق بالزواج منها ؟ تذكر انك لو فشلت فى حل هـذا اللغز ، حلت اللعنة بك ! »

.. وكان الملك قد توصل الى الحل السليم لذلك اللغز الذى القاه اليه الشيطان من فوق كتفه ، فقال: « **أعتقد ان « قمر » كان زوجها الشرعى ، فقد وهبها أبوها له ، بالطريقة القانونية ، علانية أمام الناس. أما**

((ماناهسفامين)) فقد توسل بالغش والخداع للاستحواذ عليها ، وكانت علاقتهما تتسم بالسرية ، بلا احتفال . وليس ثمة قانون فى العالم يجيز للسارق التمتع بالمال المسلوب !))

فما سمع الشيطان اجابة الملك حتى اختفى من فوق كتفيه ، وعاد ـ مرة أخرى ـ الى مأواه فى شجرة (السيستو) ، فتعقبه الملك ((تريفيكراماسينا)) ثم قبض عليه وحمله مرة أخرى .. ومن فوق كتفى الملك نطق الشيطان قائلا : ((دعنى أقص عليك يا صاحب الجلالة قصة أخرى ، تنسيك عناء الطريق !

الحساسون الثلاثة

((**فى مدينة** (فريكشاجاتا) ـ احدى مدن ولاية أنجاس ـ كان يعيش رجل برهمى على درجة كبيرة من الثراء .. وكان متدينا ، لا يفوته فرض من فروض العبادة المنصوص عليها فى الكتب . وقد تزوج بامرأة برهمية من عشيرته ، أنجبت له ثلاثة أبناء ، اتصفوا بالترفه وشدة الحساسية !

وذات يوم طلب منهم أبوهم أن يحضروا له سلحفاة ، ليقدمها للآلهة كقربان وفاء لنذر قديم . وذهب الأخوة الثلاثة الى شاطىء البحر ، ولم يلبثوا أن عثروا على السلحفاة ، لكن أحدا منهم لم يقبل أن يحملها ، فقد قال الاخ الأكبر : ((**ينبغى أن يحمل أحدكما السلحفاة الى أبى ، فاننى لا أستطيع أن ألمس هذه المخلوقة القذرة !))** ، فأجابه الآخران :

« ونحن مثلك لانستطيع أن نلمسها ! » ، فقال الأخ الأكبر : « ولكن ، لابد من أن تحملا السلحفاة الى أبى ، والا فسد قربانه ، وذهبتما بسبب ذلك الى الجحيم ! »

فضحك أخواه وقالا : « ها أنت تلقننا الواجب الذى علينا ، ونسيت واجبك أنت . وهو فى الحقيقة عين واجبنا ! »

ـ لكنكما تعرفان جيدا الحساسية التى أعانيها بشأن الطعام .. فأنا لا أستطيع أن أبتلع لقمة واحدة من طعام تشمئز منه نفسى !

ـ أما أنا فأعانى حساسية أشد منك ، وان كانت تلك الحساسية تتجه نحو النساء !

ـ اذن ، فليحمل أصغرنا السلحفاة .

لكن هذا تجهم فى غضب ثم قال : « يا لكما من غبيين !.. ان حساسيتى بشأن الفراش الذى أرقد عليه أشد من حساسيتكما معا ! »

وسرعان ما دب بينهم الشجار ، ولم يتمكنوا من الوصول الى حل يرضيهم ، فتركوا السلحفاة فى مكانها ، ويمموا شطر مدينة (فيتانكابورا) ليحتكموا الى ملكها «براسيناجيت» .. وقد رحب الملك بهم ترحيبا حارا وأكرم وفادتهم . وبعد أن نالوا قسطا من الراحة سردوا على الملك قصة الخلاف الذى دب بينهم . فقال الملك : « أمكثوا فى قصرى فترة من الزمن ، ريثما أستطيع اختبار كل منكم على حدة ! »

ولما جاء موعد العشاء ، أجلس الملك البرهميين الثلاثة فى مكان الشرف من المائدة ، وأمر بأن يقدم لهم طبق ملكى فاخر يتكون من الأرز وقد أضيفت اليه الروائح الست الشهية المعروفة . فهجم الجميع على الأرز يأكلونه بشهية عارمة ،

ماعدا البرهمى الذى كانت لديه حساسية نحو الطعام ، فقد عافت نفسه الطبق الشهى ، وأمسك أنفه بأصابعه ، وقد بدا على وجهه الاشمئزاز بأجلى معانيه !.. فسأله الملك بلطف ورقة : « لماذا لا تأكل أيها البرهمى ؟ ألا يروقك الطعام؟ لقد أمرت خدمى بتقديم أجود صنف منه ، كما انه يعبق برائحة ذكية ! » .. فأجابه الأخير هامسا بصوت مبحوح : « يا صاحب الجلالة . مهما كانت درجة جودة الأرز ، ومهما اضيف اليه من روائح شذية ، فاننى أشم خلاله رائحة جثة محترقة . ومن ثم لا أستطيع أن أبتلع حبة منه ! »

فدهش الملك لقول الشاب دهشة بالغة ، وأمر بأن يشم جميع الحاضرين الأرز . ففعلوا وأجابوا جميعا بأنه من صنف ممتاز ، وانه لذيذ المذاق ، عذب الرائحة ، وليست به أية رائحة كريهة . بيد ان الشاب ظل مع ذلك مصرا على زعمه ، ممسكا بأنفه ، رافضا ان يمس الطعام . ومن ثم لم يجد الملك بدا من اجراء تحقيق فى الأمر ، واذا أحد الطهاة يقول أن ذلك الأرز انما هو من محصول حقل يقع على مقربة من أرض المحرقات ، حيث كان القرويون يحرقون جثث موتاهم .

واذ ذاك سر الملك من الشاب وقال له : « لقد أقمت الدليل على أن حساسيتك بشأن الطعام حقيقية ، لا زيف فيها ولا ادعاء . ومن ثم أمرت بأن يقدم اليك صنف آخر ! » .. وما أن فرغ البرهميون الثلاثة من تناول العشاء حتى اتجه كل منهم الى غرفة نومه .

****

وكان لذلك الملك محظيــة على درجة كبيرة من الجمــال والفتنة ؛ فأمر الملك بتزيينها أكمل زينة ، وبتعطيرها بأفخر العطور وأغلاها ثمنا ، حتى أصبحت مثالا حيا لجمال الأنوثة الخلاب . وأرسلها الملك الى مخدع البرهمى الثانى - الذى تتجه حساسيته نحو النساء - فدخلت مخدعه ، يشع من وجهها ضوء كضوء القمر ، **وبدت كأنها تحمل فى يدها مشعل اله الحب ، فأضاءت الغرفة بسنائها وبهاء طلعتهــا** .. فما لمحها الشاب عنــد باب الغرفة حتى أخذ يمنى نفسه بليلة هانئة ، لم يذق مثلها من قبل . بيد أنها ما اقتربت منه حتى قفز من مكانه - وكأن عقربا قد لدغته - وهو يســد أنفــه بيده ، ويئن أنينا فظيعا ، وقد كاد يغشى عليه . وصاح مناديا الخدم ، واذ أتوا مهرولين ، قال لهم : « ابعدوا هذه المرأة عنى !.. سأموت لا محالة اذا ظلت بجوارى لحظة أخرى . ان رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز ! »

وذهب أفراد الحاشية بالمحظية البائسة الى الملك ، وأنهوا اليه ما حدث . فاستدعى الملك البرهمى وقال له : « ان هذه المحظية أجمل نساء حريمى وأقربهن الى قلبى . وقد قبلت أن أتنازل عنهــا تكريما لك . وهى تسير وسط ســحابة من أعذب العطور من المسك والكافور . ومع ذلك تزعم أن رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز ؟! »

ولكن منطق الملك عجز عن اقناع الشاب الذى ظل مصرا على رأيه ، ممســكا بأنفه . واذ ذاك راودت الشكوك ذهن الملك فاختلى بالمحظيــة ، وراح يتوسل اليهــا ويحاورها ويداورها كى تكشف له عن الحقيقة . وأخيرا قالت له انها عندما كانت طفلة فقدت أمها ولم يكن لديها مرضعة . وكادت

تموت من الجوع لولا أن تقدمت اليها احدى الجارات بلبن المعيز فأطعمتهما منه . وعندئذ بلغت الدهشة بالملك كل مبلغ، واعترف بحساسية البرهمى !

***

ثم أصدر الملك تعليمـاته لحاشيته بأن يزود البرهمى الثالث – الذى كان يدقق فى اختيار فراشه – بسرير وثير تغطيه سبع حشايا ، كل منها فوق الأخرى .. لكن البرهمى الحساس لم يغف الا ساعة وبعض ساعة ثم استيقظ – عند منتصف الليل – صارخا من فرط الألم ، وهو يمسـك جنبيه بيديه . فلما نضا رجال الحاشية الثياب عنـه ، شاهدوا شريطا أحمر اللون ، متعرجا ، مطبوعا بوضوح فى لحمـه ، أشـبه بقضيب من الصلب غائر فى كتلة من الصلصال !..

فلما ذهبوا الى الملك وأنهوا اليه الأمر ، أصدر أمره بفحص الحشايا فحصا دقيقـا ، ليتأكدوا من أن شيئا لم يترك – سهوا – بين ثناياها . فلمانفذوا أمره **وجدوا مابين الحشية السفلى والسرير شعرة رأس ، لايزيد طولهـا عن عشر سنتيمترات** ، فأحضروها للملك ، الذى ما أن رآها وقارن بينها وبين العلامة الغائرة التى وجدت بجسد البرهمى ، حتى قال لنفسه : « أمن المعقول أن تنفذ شعرة مثل هـذه خلال سبع حشايا ثم تطبع هذا الأثر على جسده ؟ انه لأمر محير حقا ! »

وفى الصـباح جمع الملك البرهميين الثلاثة كى ينهى اليهم القرار الذى اتخـذه فى شأنهم : وهو أنهم جميعـا يتمتعون بحساسية لاسبيل الى انكارها . ثم أهدى كلا منهم مائة

ألف قطعة من الذهب مكافأة له على صدقه وأمانته . ولم يلبثوا أن عادوا الى وطنهم وقد نسوا تماما موضوع السلحفاة . وبذلك ارتكبوا خطيئة لا تغتفر ، اذ تسببوا فى افساد قربان أبيهم ! »

وما أن فرغ الشيطان من سرد هذه القصة الرائعة حتى سأل الملك قائلا : « والآن يا صاحب الجلالة ، تذكر اللعنة التى صببتها عليك — فهى لاتزال سارية المفعول — وأخبرنى من من أولئك الشبان الثلاثة المرفهين الحساسين نحو الطعام والنساء والفراش هو أشدهم حساسية ؟ »

فأجاب الملك الحكيم قائلا : **« اننى أعتقد أن البرهمى الأخير — الذى تتجه حساسيته نحو الفراش — هو أكثرهم رقة وحساسية !.. فهو الوحيد بينهم الذى لم يكن بوسعه أن يزيف الأمر أو يختلقه ، اذ كانت العلامة الظاهرة على جسده أبلغ دليل على صدقه . أما الآخران فقد كان بوسعهما الحصول على معلوماتهم من مصادر مختلفة ! »**

وعلى الفور اختفى الشيطان من فوق كتف الملك ، فعاد الملك المثابر أدراجه ، مطاردا اياه ، ومرة أخرى أنزله عن شجرة (السيستو) ، ولم يلبث الشيطان أن قال له : « سأحكى لك الآن — يا مولاى — قصة عجيبة أخرى . فانصت اليها :

العشاق الثلاثة

« **يحكى** أن رجلا برهميا حكيما كان يعيش — فى سالف العصر والأوان — فى ولاية (براهماستالا) التى تقع على ضفة نهر (الكاليندى) . وكان اسمه « اجنيسفامين » . وكان لذلك البرهمى ابنة رائعة الجمال والرواء ، حتى لقد كان الناس يحدسون أن الخالق ولاشك قد احتقر سائر مخلوقاته من عذارى الجنيات ، بعد أن صاغها فى تلك الصورة النادرة من الفتنة والبهاء !.. وانقضت الشهور والسنون حتى اذا بلغت الفتاة سن الزواج ، حدث أن وصل الى الولاية ثلاثة من البرهميين قادمين من ولاية (كانياكوبجا) ..

وتقدموا جميعا الى الأب طالبين يدها . وكان كل منهم يضمر للآخر حقدا فظيعا ، اذ ينافسه فى الفوز بها ، حتى لقد هدد كل منهم بالانتحار اذا تزوجت من غيره . وقد خشى « أجنيسفامين » أن ينفذوا تهديدهم ، فيتحمل وزر سفك دماء بريئة ، ومن ثم قرر الا يزوجها لأى منهم . وظلت الفتاة بكرا .. لكن الخطاب الثلاثة لم يفقدوا الأمل ، فقبعوا فى أماكنهم ، وظلوا — طوال الليل والنهار — **يتأملون سناء**



وإذ كان يداعب شعر ((ضياء القمر)) بأنامله ، سقطت زهرة اللوتس التى كانت تزين أذنها فوق فخذها ، فأحدثت به جرحا غائرا !

(ص ٤٦)

وجهها الوضاح الذى يشبه البدر ، دون كلل أو ملل ، وكأنهم طيور الكاكورا التى تتغذى على ضوء القمر !

وفجأة داهمت الحمى العذراء « ماندارافاتى » ولم تلبث ان فاضت روحها ، فقام الخطاب الثلاثة بمراسم الدفن ، وقد هدهم الحزن هدا ، فحملوا جثتها على أكتافهم الى أرض المحرقة ، ثم أشعلوا فيها النيران .. وشيد أحدهم كوخا صغيرا فوق قبرها ، وظل يرقد - أناء الليل وأطراف النهار - فوق رماد جثتها ، ولا طعام له سوى ما يجود عليه به أهل الخير من الخبز . وجمع الثانى العظام المتبقية من جثتها ورحل بها الى نهر (الجانجز) . أما ثالثهم فقد أخذ يهيم على وجهه يتسول ، متنقلا من بلد الى بلد آخر .. حتى وصل الى قرية (فاكرولاكا) ، حيث دعاه أحد البرهميين للنزول فى داره . وفيما كان يتناول طعامه ، بدأ أحد أطفال صاحب الدار فى البكاء . وعبثا حاولت الأم اسكاته ، فاستشاطت غضبا ، وما كان منها الا أن قذفته بالنار المشتعلة . فما كاد جسده الرقيق يلمس النار حتى تحول الى رماد . واذ ذاك وقف شعر المتسول فزعا واستنكارا ، وصاح قائلا : « يا للهول !.. لابد اننى دخلت منزل غول آدمى . وحاشا لى أن ألمس شيئا من هذا الطعام الذى هو الخطيئة ذاتها ! »

لكن الأب قال له : « لاتفزع يا صديقى . فان عندى سحرا يبعث الموتى ! » .. وأمسك مخطوطا صغيرا ، وراح يقرأ منه تعويذة سحرية ، فوق كومة من التراب ، حتى اذا انتهى من القراءة ، نثر التراب فوق رماد الجثة ، فاذا الطفل ينهض حيا ، ليس به ثمة سوء . فهدأ روع المتسول وعاد الى طعامه من جديد . وعلق المضيف المخطوط على مشجب فى الدار ، ثم انهمك فى التهام عشائه !

وانتظر المتسول حتى استغرق جميع أهل البيت فى النوم ، ثم سار على أطراف أصابعه الى المشجب ، وأخذ المخطوط وتسلل به خارجا . **واتجه لتوه الى أرض المحرقة التى تضم رماد جثة « ماندارافاتى »** .. وفى الطريق صادف البرهمى الثانى عائدا من نهر (الجانجز) ، بعد أن طهر عظامها فى مياهه المقدسة . وبعد مسيرة عدة أيام انضما الى زميلهما الثالث الذى مكث فوق أرض المحرقة ليحرس رماد جثتها !

وقال المتسول : « لابد من هدم الكوخ ، حتى أستطيع أن أعيد محبوبتنا الى الحياة ، مستعينا بقوة التعويذة السحرية » .. وتكاتفوا على العمل حتى هدموا الكوخ . واذ ذاك أمسك المتسول بالمخطوط وراح يقرأ التعويذة السحرية فوق كومة من التراب ، ثم نثر التراب فوق رماد جثة « ماندارافاتى » .. وعلى الفور نهضت حية ، فى صورة أجمل وأبهى مما كانت عليه من قبل .. وكأن النار قد طهرت جسدها وصقلته من جديد !.. وبما أن وقع بصر البرهميين الثلاثة على الفتاة التى بعثت من الموت ، على ذلك القدر من الجمال ، حتى أصاب قلوبهم سهم العشق ، فرغب كل منهم فى الاستحواذ عليها دون الآخر ، وما لبث الشجار أن دب بينهم من جديد !

قال الأول : « انها زوجتى . فأنا الذى أحييتها بالتعويذة السحرية » . وقال الثانى : « بل الفضل فى ذلك يعود الى ، فأنا الذى طهرت عظامها فى مياه نهر (الجانجز) » .. أما الثالث فقال : « كلا ، انها زوجتى أنا .. فلولا حراستى لرمادها ، لما تبقى منها ما يمكن احياؤه !.. ان الفضل يعود الى اخلاصى وتفانى ! »

وقال الشيطان للملك : « هب انك كنت قاضيا ، وعرضت عليك هـــذه القضية ، فبمـــاذا كنت تقضى فيها ؟.. أيهم أحق بالزواج من الفتاة ؟.. وأعلم أن رأسك سيمزق أشلاء . اذا كنت تعرف الجواب ، وتأبى الافصاح عنه ! »

فأجاب الملك قائلا : **« الرجل الذى أعادها الى الحياة بواسطة التعويذة السحرية – بعد مجهـود شاق – يمكن اعتباره أباها ، فان الدور الذى قام به أقرب الى دور الأب منه الى الزوج .. والثانى الذى طهر عظامها فى مياه نهر (الجانجز) يمكن اعتباره ابنها .. أما الثالث الذى هجر العالم ، وكرس حياته لحراسة رمادها ، فهو – فى رأيى – الزوج الحقيقى ! »**

وما كاد الملك يفرغ من اجابته حتى اختفى الشيطان من فوق كتفه ، فقرر أن يقتنصه من جديد .. ذلك لأن الرجل العظيم ، الذى يتصف بالاخلاق القويمة ، لا يقبل أن يحنث بوعده ، مهمـــا كانت المخاطر التى يتعرض لهـــا فى سبيل ذلك . وعاد الملك الى شجرة (السيستو) ، وهناك وجد الجثة تتدلى منها ، فحملها فوق كتفيه .. وفيما كان يســير بحمله ، تحدث اليه الشيطان قائلا : « أرى أنك تتصف بالحكمة والمثابرة . وهذا من دواعى غبطتى وسرورى . فدعنى اذن أفضى اليك بقصة طريفة .. أنصت الى اللغز التالى :

الزوجة الحائرة

« **منذ** أجيال بعيدة ، كان يتولى حكم الكرة الأرضية ملك مشهور ، يدعى « ياساهكيتو » ـ أو « بيرق الصيت » ـ وقد اتخذ من مدينة (سوبهافاتى) عاصمة لملكه .. وكان الناس يتوافدون من كل أرجاء المعمورة ليحجوا الى معبدها الجميل الذى كرس لعبادة الآلهة البيضاء ، وليغتسلوا فى مياه بحيرتها ـ المسماة بحيرة الآلهة ـ حتى يتطهروا فى مياهها المقدسة من ذنوبهم وآثامهم !

وذات يوم ، شد أحد الحجاج الشبان رحاله ، من بلدته (براهماستالا) ، متجها الى البحيرة المقدسة ليتطهر من أدرانه .. فلما وصل اليها وقع بصره على فتاة رائعة الجمال ، كانت قد أتت بدورها لتغتسل فى البحيرة .. وكان اسمها « ماداناسوندارى » ، وهى ابنة كاهن البحيرة « سودهاباتا » . فما أن لمحها « دهافالا » ـ وكان هذا هو اسم الشاب ـ حتى أصاب سهم الغرام قلبه ، **وقد بهره جمالها الأخاذ ، فخيل اليه انها ولابد قد سلبت القمر بهاءه !**

وعاد الى منزله ـ فى ذلك المساء ـ وهو يعانى آلام الشوق والهيام ، فعافت نفسه الطعام والشراب ، ولاحت عليه دلائل العشق والغرام . واذ لاحظت أمه التغير الذى الم به ، سرى القلق الى فؤادها ، فأخذت تلح عليه بالسؤال عساه يفضى اليها بمكنون قلبه ، حتى كشف لها ـ آخر الأمر ـ عن سر غرامه بالفتاة .. ذلك الغرام الذى لم يكن له فيه ثمة أمل . فهرعت الأم الى زوجها « فيمهالا » طارحة بين يديه مشكلة ابنها . بيد أن هذا لم يجد فى الأمر مدعاة لليأس ، وقال لابنه:

« لماذا أنت مبتئس هكذا يابنى ؟ ان أمنيتك ليست عسيرة التحقيق . **ان « سودهاباتا » لن يضن عليك بيد ابنته ، اذا طلبتها منه** . حقا اننا لا نداني‍ه فى شرف المهنة ووفرة الدخل، الا أننا أصدقاء منذ زمن بعيد ، وللصداقة حقوقها ! »

وأعادت كلمات الأب السلام والطمأنينة الى نفس الابن ، فهدأ روعه ، وعاد الى تناول طعامه . حتى اذا كان اليوم التالى ، اصطحب الأب ابنه الى منزل « سودهاباتا » — والد الفتاة — وطلب منه أن يوافق على زواج ابنته من ابنه « دهافالا » . وكان الأب على حق فى تفاؤله ، اذ أن أب الفتاة رحب بطلب الرجل ، بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك اذ حدد اليوم التالى لعقد القران !

وما انتهت مراسم الزواج ، حتى شد الفتى رحاله عائدا الى أبيه فى مدينة (براهماستالا) ، حيث عاش مع عروسه هانئين ، ترفرف السعادة حولهما !

***

وذات يوم ، زارهم شقيق العروس ، فرحب به جميع أهل البيت ترحيبا حارا . وبعد أن نال حظا من الراحة قال لهم : « لقد أرسلنى أبى لدعوة « ماناسوندارى » وزوجها لحضور الاحتفال بتكريم « الالهة العظيمة » ، فقبل العروسان الدعوة بسرور ، وقضت « ماناسوندارى » وجميع أهل البيت بقية اليوم فى اعداد لوازم الرحيل ، وفى تزويد الضيف بكل ما لذ وطاب من طعام وشراب !

وفى اليوم التالى شرعوا فى رحلتهم عند الفجر .. وفى أثناء سيرهم ، مروا بمعبد الالهة البيضاء ، الفخم البنيان ، فحلت بالزوج نوبة من نوبات الورع والتقوى ، وقد أحس

بحاجة ملحة الى تقديم صلاة الشكر الى الالهة التى حققت له أعز أمانيه . فقال لزوجته وأخيها : «هلم بنا نزور سيدتنا ، « الآلهة العظيمة » ، لكن الأخ اعترض على ذلك بقوله : **« كيف نزور الالهة ، دون أن نحمل لها هدية أو ذبيحة ؟ »** ، فقال « دهافاتا » : « اذن ، سأذهب بمفردى ، فانتظرانى هنا » .

ودخل « دهافالا » المعبد ، وخر على ركبتيه فى خشوع أمام تمثالها ، وراح يسكب قلبه فى صلاة خاشعة ، مرددا مآثرها وأفضالها على البشر ، مناجيا اياها بقوله : « يامن خنقت المارد « رورو » بأذرعك الثمانى عشر ، ومن وطأت المارد « ماهيشا » بقدميك الدقيقتين اللتين تشبهان زهرة اللوتس ! » .. واذ ذاك خطر فى ذهنه خاطر غريب ، فقال فى نفسه : **« ان الناس يزورون الالهة حاملين معهم ذبائح تقطر دما ، يتزلفون بها اليها ، أفكثير على أن أقدم لها أعظم ذبيحة على وجه البسيطة .. وهى نفسى ؟! »**

والتفت حوله فوقعت عيناه ــ فى المذبح الخالى من الرواد ــ على سيف كان بعض الحجاج قد تركوه خلفهم ، فربط شعر رأسه بحبل الناقوس ، ثم حز رقبته بالسيف . وكان لسقوط رأسه على الأرض رنين كرنين الأجراس ، دلالة على أن تقدمته قد حازت القبول لدى الالهة !

وطال انتظار الزوجة وأخيها له فى الخارج ، دون أن يبدو له أثر . وأخيرا لم يجد الأخ مفرا من دخول المعبد ليبحث عنه . فاذا به يعثر على جثة زوج أخته ملقاة على الأرض ، مقطوعة الرأس . فاضطرب اضطرابا فظيعا ، وانتابه كرب وهم لا قبل له بهما ، ولم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية

لأن يعود الى أخته حاملا ذلك النبأ المشئوم ، ففضل أن يتخلص بدوره من حياته ، مستخدما ذات السيف فى قطع رقبته !

ولما لم يعد الأخ كذلك ، هاجمت الهواجس والمخاوف نفس « ماداناسوندارى » .. فدخلت المعبد ، وتخيل يا صاحب الجلالة مدى جزعها ولوعتها ، **حين شاهدت جثتى زوجها وأخيها ملقاتين على الأرض بدون رأسين !..** لقد أخذت تولول وتندب ، صارخة : « وا لهفتاه !.. وا حر قلباه !.. ماذا بقى لى بعد أن فقدت زوجى الحبيب وأخى العطوف؟ » ، ولم تلبث أن سقطت على الأرض مغشيا عليها .

حتى اذا عادت الى وعيها لم تذكر شيئا مما حدث ، ولكنها مالبثت أن لمحت المنظر الرهيب ، فعادت ترثى حبيبيها اللذين فقدتهما فجأة ، وهما بعد فى ريعان شبابهما ، وأخذت تسائل نفسها ما جدوى حياتها من بعدهما ؟... ومن ثم قررت أن تلحق بهما . الا أنها قبل أن تشرع فى تنفيذ ما استقر عليه عزمها ، اتجهت الى الالهة بصلاة قالت فيها : « أواه أيتها الالهة العظيمة !.. صاحبة السلطان على جميع الآلهة .. يا من توزعين السعادة والفضيلة بين الناس .. يا من تمنحين جسدك — عن حب — لزوجك عدو الحب !.. يا ملجأ الجميع عند الضيق .. يا من تواسين المكروبين وتمسحين عنهم أحزانهم !.. **لماذا حرمتنى من زوجى وأخى ؟..** اننى لا أستحق منك ذلك . فأنا أشد عبادك اخلاصا وتدينا . ها أنذا ألقى بنفسى تحت قدميك ، سائلة اياك الرحمة . اننى على استعداد لأن أخلع عن نفسى هذا الجسد الفانى ، ولكن .. أناشدك عندما أولد من جديد ، أن تخلقينى بنفس هيئتى ، وأن يكون زوجى هو ذات زوجى ، وأخى هو ذات أخى ! »

***

وعندما فرغت من صلاتها الحارة انحنت للآلهة فى تبجيل واحترام ، ثم علقت أنشوطة على فرع من فروع شجرة «أسوكا» فى فناء المعبد . وفيما هى تهم بوضع الانشوطة حول رقبتها ، اذا بصوت من السماء يتردد فى تلك اللحظة قائلا : « لا تمسى نفسك بسوء يا بنيتى . انك لا تدركين مقدار سعادتى اذ عثرت على هذا القدر من الفضيلة فى جسد فتاة جميلة ، فى ريعان شبابها .. ولذلك قررت أن أستجيب لصلواتك ، وأن أبعث زوجك وأخاك الى الحياة .. فابعدى الحبل عن عنقك ، وضمى رأس كل منهما الى جسده ، فاذا هو حى يرزق ! »

وقد أطاعت « مادانوسونداری » أمر الالهة ، فأبعدت الحبل عن عنقها ، ثم ركضت الى داخل المعبد ، فى اهتياج ولهفة جعلتاها تخطىء فتضع رأس زوجها الى جسد أخيها ، ورأس أخيها الى جسد زوجها .. وكادت أن تطير من الفرح حينما رأتهما ينهضان وليس بهما سوء — اذ لم تكن قد فطنت بعد الى خطئها — وقد خر الرجلان والمرأة عندئذ على الأرض ركعا أمام الالهة ، يسبحون بحمدها ، ويقدمون اليها القرابين!

وفى طريقهم الى المنزل ، راحوا يتناقشون فى أمر المعجزة الخارقة التى حدثت لهم . ومن ثنايا ذلك الحديث أدركت « مادانا سونداری » الخطأ الذى وقعت فيه باستبدال رأسيهما ، فاستولت عليها الحيرة والجزع ، ولم تعرف ماذا تفعل .. »

واستطرد الشيطان قائلا : « والآن ، أخبرنى يا صاحب الجلالة . من من الرجلين أصبح زوجها ؟.. اننى أنذرك بأنى سأحطم رأسك وأحيلها الى أشلاء صغيرة ، اذا كنت تعرف الجواب وتأبى الافصاح عنه » .

واستغرق الملك « تريفيكراماسينا » فى التفكير فترة من الزمن ، ثم قال : **« ان الرجل الذى يحمل رأس الزوج وجسد الأخ هو زوجها الحقيقى .. ذلك لأن الرأس – التى تضم بين ثناياها عقل الانسان – هى أهم عضو من أعضاء الجسد ، وأرفعها شأنا . أما باقى الأعضاء فمجرد توابع لها تأتمر بأمرها .. ثم كيف يستطيع جسد الزوج أن يعاشر زوجته والرأس التى توجهه تعلم علاقة الأخوة التى تجمع بينهما ؟ »**

وما أن نطق الملك بالجواب الصحيح حتى اختفى الشيطان – مرة أخرى – بطريقة غامضة من فوق كتفيه ، فعاد الملك الى مطاردته من جديد . وهنالك وجده متدليا من شجرة (السيستو) ، فحمله فوق كتفيه عائدا أدراجه . وبينما كان الملك يسير بحمله ، تحدث الشيطان اليه قائلا : « اليك لغزا آخر من ألغازى ، لعلك تنسى همومك :

ثلاث ملكات رفيقات

« **كان** « دهارمادهافاجا » ملك اقليم (يوجايينى) متزوجا من ثلاث زوجات يجرى فى شرايينهن الدم الملكى . وكن جميلات فاتنات ، مطيعات لأوامره ، لا هم لهن الا ازجاء السرور الى نفسه ، فكان يغمرهن بعواطفه التى كان يوزعها عليهن بالعدل ، دون تمييز بين هذه وتلك . وكانت احداهن تدعى « ضياء القمر » ، والثانية « وهج النجوم » ، والثالثة « بشرة الندى » . وكان الملك قد هزم كل أعدائه هزيمة منكرة ، فاستتب له الأمر ، ووفى بعهوده لرعاياه ، فلم يعد لديه ما يشغل باله أو وقته . ومن ثم عاش هانئا ، سعيدا مع ملكاته الفاتنات !

وذات يوم ، خرج الملك مع زوجاته الى حدائق القصر الملكى ، ليحتفلوا بمقدم الربيع . **وكانت الكروم محملة بالأعناب الناضجة والأوراق النضيرة ، التى كانت تلوح وكأنها سهام الغرام فى يد اله الحب ، يصوبها الى ضحاياه الراضين بقضائه ، وطيور الجنة تصدح بأناشيد الهوى فوق فنن الأشجار ، وكأنها همسات اله اللذة الذى ليس له من هم سوى الاغراء بالوصال وتبادل كؤوس الهوى بين العاشقين وربات الجمال !**

واستغرق الملك مع زوجاته فى تأمل مناظر الطبيعة الساحرة المتألقة ، ورشف كؤوس الخمر المعتقة . وفيما هو يتلذذ بمذاق الشهد المخمر الذى عطرته أنفاس زوجاته ، وسرت فيه حمرة شفاههن التى تشبه ثمار الكرز ، واذ كان يداعب شعر « ضياء القمر » بأنامله ، سقطت زهرة اللوتس

التى كانت تزين أذنها فوق فخذها فأحدثت به جرحا غائرا . وعندئذ سالت دموع الملكة الرقيقة ــ ذات القوام البديع والمنبت الرفيع ــ وما لبثت أن سقطت مغشيا عليها !

وكاد الملك أن يفقد عقله من فرط القلق والاضطراب ، حين رأى ما حدث لمحبوبته ، وأرسل يستدعى الوصيفات على عجل ، فهرعن بمراوح من ريش النعام غمست فى الماء ، محاولات أن يعدن اليها رشدها . ثم لم يسع الملك فى النهاية الا أن عاد بها الى القصر حيث تركها فى رعاية الأطباء ، يعالجون الجرح الخطير بالمراهم والعقاقير !

***

وفى المساء علم الملك أن « ضياء القمر » قد استردت وعيها ، بعد أن التأم جرحها وغدت فى خير حال ، فهدأ باله واطمأن بلباله . واصطحب زوجته الثانية « وهج النجوم » الى شرفة القمر التى تقع فوق سطح القصر . وكان هناك سرير ضخم قد هيىء خصيصا لمثل هذه المناسبات ، فلم يلبثا أن استسلما للهوى الجامح ، وراحا يتبادلان القبلات النارية .

بيد أنه معروف عن القدر انه يحقد على بنى البشر ، ويستكثر عليهم لحظة من سعادة ، فلم يكد العاشقان يستغرقان فى سنة من النوم ، حتى اخترقت أشعة القمر ثوب الملكة الشفاف ولمست جسدها الرقيق ، فهبت من نومها صارخة : « **أواه !.. لقد احترقت بشرتى !** » ، ثم قفزت من فراشها وهى تتحسس ذراعيها وساقيها . واستيقظ الملك على صوت صراخها ، فرأى آثار قروح تغطى جسدها كله ، فسألها مضطرب الروح عن سبب هذه القروح ، فأجابته

قائلة : « كنت أرقد شبه عارية ، فسقطت أشعة القمر على جسدى ! »

وعندئذ صاح الملك يستدعى الوصيفات ، فأقبلن راكضات فى اضطراب وجزع . فأمرهن أن يهيئن لها فراشا من ورق الأشجار المبللة بالماء ، وأن يعالجن حروقها بمرهم الصندل .

***

أما الملكة الثالثة « بشرة الندى » فما كادت تسمع ماحدث لضرتها الملكية ، حتى قررت أن تزورها لتطمئن عليها . ولكنها لم تكد تبرح جناح الحريم ، وتقف فى الخلاء ، حتى بلغ مسامعها — خلال سكون الليل المطبق — صوت أصم أذنيها .. وكان ذلك صوت طاحونة على مقربة من القصر تطحن أرزا . واذا بالملكة الفاتنة ، ذات العينين اللتين تحكيان قطرات الندى ، تمد يديها الى الأمام ، صائحة : « أواه ! اننى أموت ! » ، ثم سقطت فى الطريق وهى تتأوه من الألم .

وكانت الوصيفات قد عدن لتوهن من عند الملكة الثانية ، فوجدن الملكة الثالثة راقدة على الأرض فاقدة الوعى . فحملنها الى جناح الحريم حيث أرقدنها فى الفراش وهى ساكنة لاتحير حراكا ، وان كانت شفتاها نصف المضمومتين لاتفتآن تند عنهما أنات تذيب نياط القلوب . ولم تكن واحدة منهن تعرف ما أصاب الملكة ، الا أنهن ما كدن يجردنها من ثيابها ، حتى انفجرن باكيات معولات ، **اذ رأين بثورا حمراء تغطى ذراعيها ، اللتين لاحتا أشبه بزهرة من زهور اللوتس أوسعها سرب من النحل لذعا ولدغا !**

ومرة ثالثة هرع الملك الى معشوقته ، متسائلا — فى قلق — عما حاق بها ، فكشفت له عن ذراعيها قائلة : « أنظر . حين

سمعت صوت الطاحونة ، امتلأت ذراعاى بهذه البثور الحمراء !»
.. فأصدر الملك أمره باستدعاء الأطباء ومعالجة ذراعيها بمرهم الصندل وغيره من العقاقير التى تستخدم لعلاج مثل هذه اللذعات واللدغات !

***

وعند هذا الحد كان اليأس والدهشة قد أخذا من الملك كل مأخذ ، فلم يكن يدرى أى عين شريرة أصابت زوجاته الجميلات الوديعات .. فهاهى الأولى تجرح فخذها زهرة رقيقة من أزهار اللوتس ، والثانية يحرق ضوء القمر بشرتها ، والثالثة أصابها مجرد سماع صوت طاحونة ، تدور من بعيد ، ببثور ملأت ذراعيها !.. أواه ؛ لقد شاء القدر القادر أن يقلب ما كانت تمتاز به ملكاته الثلاث من رقة – وهى الميزة التى كان لا يمل التغنى بها – الى عيب يشوههن كل تشويه !

وراح الملك يذرع غرفته جيئة وذهابا بخطوات مضطربة ، وهو يحاول عبثا أن يجد تفسيرا لتلك الكارثة التى حاقت به وبزوجاته الملكيات !.. وقضى ثلاث ليال ، لا يعرف النوم سبيلا الى جفنيه ، فكانت كأنها ثلاث سنوات . ثم فى اليوم الرابع بشره الأطباء بأنهن جميعا قد أبللن من مرضهن ، فعادت الابتسامة تشرق على شفتيه ، والهدوء يغمر صدره ، والهناء يملأ قصره ! »

وبعد أن فرغ الشيطان من قصته ، سأل الملك قائلا: « والآن ، أخبرني أيها الملك ، أيهن كانت أشدهن حساسية ؟ تذكر أن اللعنة ذاتها ستحل بك ، اذاكنت تعرف الجواب وتضن به ! »

فأجابه الملك : « **ما من ريب فى أن الثالثة كانت أشدهن حساسية ، وهى التى ملأ صوت الطاحونة جسدها بالبثور الحمراء . فالأولى والثانية قد لمس جسديهما شىء ما ، ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين حالتيهما وحالة الثالثة !** »

ومرة أخرى اختفى الشيطان بمجرد سماعه اجابة الملك ، عائدا الى مأواه فى شجرة (السيستو) . ومع ذلك فقد أعاد الملك الكرة فى اصرار ، مقتفيا أثره . ولم يلبث أن أنزله من الشجرة ، وحمله فوق كتفيه .. وفيما كان يحث الخطى فى طريقه ، انبعث صوت الشيطان قائلا : « لدى قصة أخرى يا مولاى . فانصت اليها :

الغانية الحقود

« **منذ** آلاف السنين كانت مدينة (كاناكابورا) — التى تقع على ضفاف نهر (الجانجز) — مشهورة باحترام أهلها لقوانينها ونظمها . فلم يكن يجرؤ أحد على اتيان اية مخالفة

أو ارتكاب اية جريمة .. ذلك لأن الملك « ياسودهانا » ـ أو ذائع الصيت ـ كان يحمل اسمه عن جدارة واستحقاق .. **كانت هيبته وجلاله تحميان عرشه من عواصف النكبات ، كما تفعل الجبال اذ تحيط بالمدينة ، فتحول دون اكتساح الأمواج لشواطئها** .. وقد أرسلت طلعته البهية وهجا أضاء جميع بلدان الدنيا ، مضفيا عليها بهجة وحبورا .. بل ان صيته مالبث أن ذاع بين الناس ، فطغى على صيت الشمس والقمر معا !.. لذلك فان الباحث عن الحماقة والغباء لم يكن يجد لهما أثرا فى دولته ، وان كان يجدهما متوفرين بين خصومه الذين يناصبونه العداء !

وعلى شاكلة سـواه من بنى البشر ، لم يـكن الملك « ياسـودهانا » كامل الخصـال ، بل كانت تشوبه بعض النقائص والعيوب ، ولكن هذه العيوب كانت تتخذ شكلا يختلف تمام الاختلاف : **فقد كان جبـانا .. لا يجرؤ على ارتكاب المعاصى والآثام ، شرها ، جشعا .. الى الشرف ، عنينا ، فاقد الرجولة .. بالنسبة لزوجات الآخرين !.. ومن ثم فـلا غرابة فى أن رعاياه كانوا يتغنـون بمآثره ومزاياه ، وينادونه ببطل الشجاعة والكرم والحب !!**

وكان ثمة تاجر ثرى يقطن فى تلك المدينة ، وله ابنة ذات جمال صاعق ، أطلق عليها اسم « يونمادينى » ـ أو سابية العقول ـ لأن كل من كان يقع بصره على جمالها الفتان ،سواء أكان شابا أم شيخا ، كان يفقد وعيـه على الفور .. وكأن اله الحب قد ميزها ـ دون غيرها من البنات ـ بنعمة الفتنة والسحر !

***

وانقضت سنوات ، شبت فيها الفتاة ، ومالبثت أن بلغت طور النساء ، وتفجرت أنوثتها . فكتب أبوها الى الملك خطابا قال له فيه : « ياصاحب الجلالة . لقد أنعمت على السماء بابنة أدركت لتوها سن الزواج . وهى تشبه جوهرة العوالم الثلاث !.. **وقد تقدم لها كثيرون طالبين الزواج منها ، لما حظيت به من بهاء الطلعة ونقاء السريرة . ولكنى لست أجرؤ على أن أهبها لأحد منهم ، قبل أن أعرض الأمر على جلالتكم أولا** . فقد جرى العرف على أن الملك أحق الناس بالتمتع بجميع خيرات الدنيا وجواهر العالم !.. والأمرمتروك لكم ، فاما أن تتفضلوا بقبول هديتى المتواضعة ، أو تعتقوها لتكون لغيركم ! »

فلما قرأ الملك الرسالة ، أرسل ندماءه ليروا ان كانت الفتاة تحمل طابع اليمن والحظ السعيد . واذ وقعت أبصار الندماء على ذلك الجمال الصارخ والفتنة الطاغية التى لم يروا لها مثيلا من قبل ، سقطوا جميعا فى غيبوبة ، حتى اذا أفاقوا من غاشيتهم ، راحوا يتشاورون فى الأمر قائلين : **« ان زواج الملك من تلك الفتاة من شأنه أن يكون سببا فى تهاوى العرش ، لا محالة ، لأن هذا الجمال خليق بأن يذهب بعقله ويفقده رشده ، ومن ثم ينبغى أن ننقل اليه أنها تحمل دلائل النحس وشؤم الطالع ! »** .. وقد كان من نتيجة التقرير الذى تقدم به الندماء الى الملك ، أن رفض العرض الذى تقدم به التاجر . فما كان من هذا الا أن زف ابنته الى « بالادهارا » ، قائد جيش الملك ، الذى كان قد تقدم طالبا يدها !

وكان « بالادهارا » مثالا للزوج المخلص الوفى ، فعاشت « يونمادينى » مع زوجها القائد ترتع فى النعيم ، لاينغص عليها

حياتها سوى خاطر ما فتىء يعاودها من فترة لأخرى ، فتقول فى نفسها : « لقد رفض الملك أن يتزوجنى ، لأنه وجدنى سيئة الطالع ! »

وانقضت الأيام والأسابيع والشهور .. **حتى أطلق سراح فيل الشتاء ، فهشم بأنيابه المصنوعة من زهور الياسمين براعم اللوتس ، ثم هجم على أسد الربيع فولى الادبار الى الغابة هاربا !..** وقد جرت العادة — فى مثل هذه الأيام من كل عام — على أن يقام احتفال ضخم . ومن ثم فقد امتطى الملك « ياسودهانا » فيلا ، وخرج به الى المدينة ليستمتع بمشاهدة الاحتفالات الشعبية !.. وكان ضاربو الطبول يتقدمون الموكب ، **وأحد المنادين يصيح بأعلى صوته محذرا الرجال من ترك نسائهم يتجولن فى الشوارع ، أو يظهرن فى الشرفات أو السطوح** ، خشية أن تقع أبصارهن على جمال طلعة الملك ، فيفقدن صوابهن ، ويرتكبن أفعالا غير لائقة !

فما سمعت « أونمادينى » النداء ، حتى صعدت — متعمدة — الى سطح منزلها ، وتصدت لموكب الملك . فما رآها هذا حتى تسمر فى مكانه غير قادر على رفع نظراته عن تلك المرأة التى لاحت له **وكأنها نار الحب قد نفث فيها الربيع أنفاسه العطرة ، ففاحت منها رائحة المسك ، وتأجج لهيبها!.. ولم يلبث جمالها الاخاذ — الذى استخدمه اله الحب كرمح يخترق به قلوب ضحاياه — أن أصاب شغاف قلبه ، فسقط مغشيا عليه !**

وما كاد يعود الى قصره حتى استدعى أفراد حاشيته ، وراح يستجوبهم فردا فردا ، واذا به يعلم أنها هى ذات المرأة التى قدمها أبوها اليه بنفسه ، واعتذر هو عن قبولها!..

فما كان منه الا أن أمر بنفى البرهميين الذين نطقوا بالزور والبهتان حين زعموا أنها تحمل دلائل النحس !

وغدا النوم بالنسبة له عصيا ، لا يذوق منه الا قدرا هزيلا . وكان حتى حين تأخذه سنة من النوم ، تتراءى له أحلام غريبة ، فيهذى قائلا : « أواه !.. ما أوقح هذا القمر ، وما أقل حياءه ، اذ يجرؤ على الظهور هكذا بانتظام ، وكأنه ليس ثمة مصدر للنور سواه ؟ ! .. ألا يعلم بذلك المحيا الذى يلوح للناس فينسون القمر ويجدون فيه ملهاة وسلوى .. ان دوارق الشراب المذهبة ، لاتضاهى ثدييها الشامخين استدارة وامتلاء ! .. ومن ذا الذى يرى ردفيها الباسقين ولا تشتعل الدماء فى عروقه ، وتتفجر فى جسده ينابيع الرغبة والاشتهاء ؟! » .. وظل الملك يهذى هكذا فى أحلامه ليلا ، ويكتوى بنار الوجد الذى يفتك بجسده نهارا !.. وقد جاهد كثيرا ليخفى مظاهر خزيه وعاره عن أقرب المقربين اليه ، غير أن محاولاته باءت بالفشل ، **ولم يملك – آخر الأمر – الا أن يجيب على أسئلة خدمه المخلصين – والتى كانت تلاحقه أينما ذهب – فباح لهم بسر هواه المكظوم !**

وعندئذ قالوا له : « لماذا تعذب نفسك هكذا والمرأة من رعاياك ؟ لعلك تظنها تجد غضاضة فى الاستسلام لذلك الشرف الذى تسبغه عليها ، والا فماذا يحول بينك وبين الاستحواذ عليها ؟ » .. الا أن الملك الشريف أبى أن ينصاع لهم ، وأصر على التمسك بأهداب القانون الذى يحرم على الناس التعدى على ممتلكات الغير . وسرعان ما انتشرت القصة بين الناس ، حتى وصلت الى مسامع قائد الجيش ، زوج محبوبته . فبادر هذا بالتوجه الى الملك قائلا : « لقد حضرت

– يا مولاى – لاتنازل لك عن زوجتى . وهى منذ اللحظة زوجتك شرعا وقانونا ، وليست زوجة أى انسان آخر . أما اذا كان ضميرك لا يجيز لك ذلك ، فانى على استعداد لأن أكرسها للمعبد (١) ، حتى لانضطر الى اقتراف خطيئة اغتصاب زوجة رجل آخر ! »

فاستشاط الملك غضبا ، وصاح فى قائده قائلا : « اذاكنت وأنا الملك – الموكل اليه شئون رعاياه ، والذى يتخذه الجميع قدوة يترسمون خطاها – أرتكب مثل هذا الاثم الفظيع ، والمخالفة الصريحة للقانون ، فهل أملك بعد ذلك الاقتصاص ممن يخالفه ؟.. **ألا تعلم أن الناس على دين ملوكهم ، ان أحسنوا صلحت رعيتهم ، وان أساءوا فسدت الرعية ؟..** فما كان ليخطر ببالى يوما من الأيام أن تصدر هذه النصيحة المشئومة منك أنت ، المخلص لى ، فتغرينى على ارتكاب هذا الذنب العظيم ، الذى ربما أتاح لى قدرا ضئيلا من اللذة ، لكنه سيصبح فيما بعد مصدر عذاب أبدى ، يصلينى بناره فى الحياة الأخرى !.. ثم ، كيف تجيز لنفسك هجران زوجة وفية ، لا هم لها سوى اسعادك ؟.. كلا . ان شرفى ونبل محتدى يأبيان على ذلك ، بل اننى أفضل الموت على انتهاك حرمة الزواج المقدس بهذه الصورة ! » . وبالفعل ، ظل الملك يكظم رغبته العارمة فى نفسه ، ذلك أن الرجل الذى أوتى روحا صافية – تدأب على السمو بمشاعرها – يفضل الموت على الانحراف عن طريق الحق والعدالة !

واحتشد سكان المدينة حول الملك يناشدونه أن يأخذ المرأة ، لكنه ظل صلبا كالصخرة ، لايحيد عن القرار الذى اتخذه

(١) يقصد أن يوهبها للمعبد حيث تمارس الدعارة التى كانت احدى طقوس العبادة !

قيد أنملة . الا أن نار الغرام المستعرة ما لبثت أن أفنت ذلك الجسد الذى أنهكه الصراع الدائر فى داخله بين الوفاء والشهوة ، فلم تبق منه سوى قدرا من الرماد ، وصيتا نقيا ذاع بين العالمين ! .. وحزن الشعب لموت الملك حزنا شديدا ، لا سيما قائد جيشه الذى لم يحتمل الصدمة ، فانطلق الى أرض المحرقة حيث كان رماد جثة الملك ، ثم ألقى بنفسه بين النيران المتأججة ، ولم يلبث أن لحق به فى الحياة الأبدية ! »

***

وما انتهى الشيطان من سرد هذه القصة الغريبة ، حتى قال للملك : « أخبرنى — يامولاى — من من الاثنين كان أكثر أخلاصا ؟ .. الملك أم القائد ؟ .. فأجابه قائلا : « لقد كان الملك أكثرهما أخلاصا ! » . فسأله الشيطان آسفا : « لماذا ؟ ألم يكن القائدأكثرهما أخلاصا ، وهو الذى ضحى بزوجته الفاتنة لغيره ، بعد أن تذوق مفاتنها ونعم بجمالها ؟ .. ثم انه أحرق نفسه حزنا وكمدا عندما بلغه خبر وفاة الملك . أليس هذا أخلاصا ما بعده أخلاص ؟.. هذا فى حين أن الملك لم تكن تضحيته خارقة للعادة فهو لم يجرب عناق تلك الزوجة المثيرة ، ومن ثم لم يكن من الصعب عليه الاستغناء عنها !

فابتسم الملك وأجاب : « **ربما كان هذا صحيحا . ولكن ، ما وجه الغرابة فيه ؟.. أمن العجيب أن يضحى قائد — جبل على الاخلاص لسيده — بنفسه فى سبيله ؟ لقد جرى العرف على أن يبذل الخدم قصارى جهدهم للمحافظة على حياة سادتهم ، حتى لو كان فى**

ذلك هلاكهم !.. أما الملوك فمفطورون على التعالى على القانون ، وهم لا يفتأون يكسرون – مثل الفيلة الجامحة – أغلال العرف والتقاليد، وينطلقون فى جموح وراء شهواتهم وملذاتهم !.. ان الغرور والصلف صفتان متغلغلتان فيهم .. وهم اذ يهشون الذباب والبعوض عن وجوههم بمراوح من الريش تشبه ذيول البقر الوحشى ، انما يتخلصون – فى ذات الوقت – من ذرات العلم والمعرفة التى توارثوها عن أجدادهم !.. ومظلاتهم الملكية التى يذودون بهـا الشمس عنهم ، تحول بين وصول وهج الحقيقة الى عقولهم المظلمة !.. أما بصيرتهم فتتوه فى ثنايا ذرات الغبار التى يثيرها سلطانهم وجبروتهم ، فلا يعـودون يتبينون طريقهم !.. وما أن يستولى سلطان الهوى على عقولهم حتى يذهب بها ! .. وهذا ما حدث لناهوشا وغيره من عظماء الملوك الذين قهروا العالم ! أما ذلك الملك ، فبالرغم من سلطانه ومجده ، فانه لم يستسلم لفتنة ((أونمادينى)) . وقد آثر فى النهاية أن يجود بحياته عن أن يحيد عن طريق العدالة والحق ! .. لهذا السبب قلت أن الملك كان أكثرهما تضحية وعظمة نفس !))

فما كاد الشيطان يسمع جواب الملك حتى اختفى عن كتفه ، عائدا – بقوته السحرية – الى الشجرة ، لكن الملك العتيـد عاد الى مطاردتـه من جديد . وتابع

استدراك : نأسف لوقوع خطأ من المطبعة فى صفحة ٦١ من هذا العدد ، اذ وضع السطر الثالث والعشرين مكان السطر الرابع والعشرين وبالعكس .. فيكون السياق صحيحا اذا قرىء السطر الرابع والعشرين قبل الثالث والعشرين . ومعذرة .

سيره خلال أحراش الموتى الغاصة بالاجداث المحترقة ، وقد خيل اليه أن الاشباح كانت تخرج له ألسنتها النارية! حتى اذا انتصف الليل، وصل الملك « تريفيكراماسينا » الى شجرة السيستو . الا أنه لم ير فى هذه المرة جثة متدلية منها ، بل شاهد عدداً كبيراً من الجثث تتأرجح فى الفضاء . فقال الملك لنفسه فى لوعة : « أواه !.. مامعنى هذا ؟ أترى ذلك الشيطان اللعين قد آلى على نفسه اضاعة وقتى .. اننى سأقتل نفسى لو أن هذه الليلة أنقضت قبل أن أفـرغ من مهمتى . فلست أطيق ان يهزأ بى أحد ! »

وقرأ الشيطان خـواطر الملك ، وسر من مثابرته ، فأمسك عن مداعبته . وعلى الفور اختفت جميع الجثث فيما عدا جثة واحدة . فتسلق الملك الشجرة وانزل الجثة ، ثم حملها فوق كتفيه . وفيما كان يسعى فى طريقه خاطبه الشيطان قائلا : « ياصاحب الجلالة . لم أر فى حياتى من هو أكثر منك همة ودأبا . ومن ثم سأروى لك حكاية !.. أنصت :

ابن .. وثلاثة آباء!

«منذ آلاف السنين ، كان ثمة مدينة اسمها (فاكرولاكا) تشبه مدينة الآلهة . وكان يتولى الحكم فيها ملك يدعى « سوريا برابها » — أى صنو الاله اندرا — حبته السماء بوجه وسيم ، وجسد فارع ممشوق ، مكافأة له على فضائله، وحسن سيرته ، فى حياته السابقة !«١» .. وكان أهالى

---

(١) يؤمن الهندوكيون بتناسخ الارواح ، وبأن الروح لا تذهب الى عالم آخر ، بل تعود الى الحياة فى جسد جديد .

تلك المدينة يتمتعون بحياة هادئة مطمئنة ، **ولا تعرف الدموع طريقها الى عيونهم ، الا حين تتعرض للدخان ، ولا ترد كلمة الموت على لسان واحد منهم الا فى مناجاة حبيب ، ولا ترى العصى الغليظة الا فى أيدى خفراء المنازل ! ..** ولربما كان من الجائز أن تبلغ حياة ذلك الملك - المليئة بجلائل الاعمال ووفير الخيرات - حد الكمال ، لو لم ينغص عليه حياته أمر واحد .. وهو انه رغم عشرات المحظيات اللاتى يقتنيهن ، لم يمكن لواحدة منهن أن تنجب له ابنا ذكرا !

وعند هذا الحد من القصة ، ينبغى أن نتجه بأبصارنا الى ميناء (تامرا ليبتى) ، حيث كان يعيش « دهانافالا » ، التاجر الذى كان من أثرى أثرياء قومه . وكان لذلك التاجر ابنة وحيدة اسمها « دهانافاتى » ، يستشف كل من يتأمل بهاء طلعتها ، من وراء جمالها الأخاذ ، سحر ملكة الجان التى سقطت من عليائها الى باطن الارض بسبب لعنة صبت عليها!

وما كادت هذه الغادة تدرك سن الزواج ، حتى سقط أبوها صريع مرض خبيث ، ولم يلبث أن عاد الى عناصره الخمسة الاولى (١) . وعلى الفور ثار بين أقاربه نزاع حاد بشأن وراثة ثروته الطائلة ، فلم يسع زوجته الا أن تأخذ قدرا من الجواهر - كان التاجر قد خبأها قبل موته فى مكان لايعرفه أحد سواها - ثم تسللت تحت جنح الظلام الى خارج المنزل، خوفا من أقارب زوجها . وسارت فى الطريق تترنح بخطوات متعثرة ، وقد أعماها ظلام الليل من حولها ، وعتمة الاسى والحزن فى داخلها ! .. وقد لاقت فى طريقها أهوالا لا حد لها ، غير أنها استطاعت - آخر الامر - أن تجتاز أسوار المدينة ، ومن هناك اتجهت الى الغابة وهى تتكىء على ذراع

(١) يقصد أنه مات .

ابنتها الحسناء ! .. وبعد مسيرة يوم كامل صادفت أمراً عجيبا : فبينما كانت تتحسس طريقها فى الظلام ، اذا بكتفها تصطدم بجسد انسان . **وكان ذلك لصا قد ضبط متلبسا بجريمته ، فحكم عليه بالموت جالسا على « خازوق »** . وكانت أنفاسه لا تزال تتردد فى صدره وهو يحتضر . فما كاد كتف المرأة يحتك بجسده ، حتى أطلق أنينا رهيبا ، وصاح : « أواه !.. من هذا الذى ألقى فوق جراحى ملحا ؟ » ، فسألته زوجة التاجر من يكون ، فأجاب قائلا : « اننى لص حكم على بالجلوس فوق خازوق . ولكننى ، لما كنت مجرما ، تأبى روحى أن تفارق جسدى . فأخبرينى ياسيدتى ، من أنت ، والى أين تقصدين ؟ »

وراحت الام تحكى له قصتها منذ البداية . وفيما هى تتكلم ، ظهر القمر ، فألقى ضوءه الفضى المتألق على أرجاء المكان . واذ ذاك استطاع اللص أن يلمح وجهها ووجه ابنتها « دهانافاتى » . فقال للمرأة : « قبل أن أموت ، لدى رغبة أخيرة أود أن تحقيقيها لى ، وسأعطيك مقابلها ألف قطعة من الذهب .. **هبينى ابنتك لتكون زوجتى !** » .. فبوغتت الأم بطلبه الغريب ، بيد أنها لم تملك الا أن تضحك قائلة : « ولكن ، ما عسى تكون فائدتها لك ؟ » ، فأجاب اللص قائلا : « اننى اذ أموت الآن ، أموت بلا ابن ، ولن أبعث فى حياة جديدة ، ما لم يكن لى ابن . ولكننى ، اذا أصدرت أمرى لزوجتى بأن تنجب الى طفلا – سواء أتى عن طريقى أو عن طريق غيرى – فان هذا الطفل يعتبر ابنى الشرعى ، ومن صلبى !! »

وأعشى بريق الذهب والجشع أنظار الأم ، فوافقت – بلا تردد – على طلبه . وعلى الفور ، قامت بنفسها بمراسم

الزفاف : **أحضرت قدرا من الماء وصبته فوق يدى اللص وهى تقول : « بهذا أهبك ابنتى العذراء »** .. وما أن أصبحت زوجته شرعا حتى أمرها بأن تبحث لها عن رجل تنجب منه طفلا . ثم اتجه بحديثه الى أمها قائلا : « احفرى أسفل شجرة التين هذه ، وستجدين هناك صرة الذهب التى وعدتك بها . وأوصيك بأن تحرقى جسدى حين أموت ، وبأن تلقى ما يتبقى من عظامى فى النهر المقدس . ثم تيممى مع ابنتك صوب مدينة (فاكرولاكا) ، حيث تستطيعان أن تعيشا — فى ظل حكم الملك « سوريابرابها » الرشيد — فى أتم سعادة وهناء ! » .. وكان الظمأ قد برح به ، فأحضرت له حماته كوبا من الماء ، ما كاد يشرب — بشراهة — جرعة منه ، حتى أسلم الروح !

وعملت الارملة بوصية اللص ، فأخرجت صرة الذهب من أسفل شجرة التين ، ثم تسللت فى حذر مع ابنتها الى منزل صديق من أصدقاء زوجها . ومكثت هناك حتى تمت عملية احراق جثة اللص والقاء عظامه فى النهر المقدس ، حسب الوصية وطبقا للطقوس الدينية المتبعة حرفيا .

ثم فى اليوم التالى خبأت الكنز فى ثيابها ، وخرجت مع ابنتها . وسافرا معا الى مدينة (فاكرولاكا) ، ولم يكونا يتوقفان فى الطريق ، الا ريثما يلتقطان أنفاسهما ! .. وفى تلك المدينة ابتاعت الأم منزلا ، من تاجر يدعى «فاسوداتا» ، وعاشت فيه مع ابنتها «دهانافاتى» ..

***

وكان يقطن تلك المدينة فى ذلك الحين معلم يدعى « فيشنوسفامين » ، على حظ وافر من العلم والمعرفة .

وكان يتتلمذ على يديه شاب برهمى ينحدر من أسرة عريقة، الا أنه كان صريع رغبات ومشتهيات شبابه ، فكان كلما وقع بصره على غانيه تدعى « هامسافالى » اشتعل بدنه رغبه فيها ، وخفق قلبه ولها وصبابة بها .. **لكن الغانية اللعوب كانت تقدر لجسدها ثمنا باهظا ، لم يكن يدلك منه شيئا .** فقد كانت تطلب خمسمائة دينار من الذهب ثمنا لليلة غرام واحدة ، ومن ثم كانت تعاسته وشقاؤه تزدادان ليلة بعد أخرى !

وقد تصادف أن أطلت « دهانافاتى » - ذات يوم - من شرفة منزلها ، فوقع بصرها على ذلك الشاب الوسيم . فانجذب قلبها نحوه على الفور وأخذ يدق دقا عنيفا . وتذكرت - فى تلك اللحظة - وصية زوجها اللص والقسم الذى جعلها تؤديه أمامه ، فاتجهت الى أمها ، قائلة فى خبث : « انظرى يا أماه. أترين هذا الشاب الوسيم الطلعة ، الفارع الطول ؟.. ألا يبعث مرآه البهجة فى القلوب ؟ » .. فأدركت الام أن ابنتها قد سقطت صريعة الغرام ، فقالت لنفسها : « ان من حقها أن تختار بنفسها الرجل الذى تنجب منه طفلا ، فلم لا يكون هذا الشاب ؟ » .. ثم بادرت بارسال احدى وصيفاتها الى البرهمى لتستدعيه . وقامت الوصيفة بالمهمة خير قيام ، فانتحت به جانبا ، وأسرت اليه مضمون رسالتها !

ولكن الشاب الذى كان قلبه متعلقا بهوى الغانية اللعوب فلما عادت الوصيفة بجواب الفتى لم تجد الام مندوحة اشترط أن تدفع له أم الفتاة خمسمائة دينار من الذهب . من تسليم المبلغ اليها .. **وعند ما سجى الليل وسادت الظلمة أرجاء المدينة ، تسلل الشاب الى مخدع الفتاة العاشقة**

التى تعلقت ابصارها به ، كطائر (الكاكورا) الذى لا يحول نظره عن القمر .. وقضى الشاب الليلة بطولها يعزف لها أعذب ألحان الغرام ، حتى اذا ما أشرق الصباح تسلل من غرفتها ، فى هدوء ، كما حضر !

وأثمرت ليلة الغرام ، فحملت « دهانافاتى » . وفى الموعد المحدد وضعت طفلا جميلا ، يحمل وجهه علامات اليمن والمستقبل السعيد . وزاد من سعادة الام والجدة أن المولود جاء ذكرا ..

***

وذات ليلة ، ظهر الاله « سيفا » فى الحلم لكليهما ، قائلا : « أرقدا الطفل فى سلة ، وضعا معه ألف قطعة ذهبية، ثم أتركاه أمام بوابة قصر الملك « سوريابرابها » ! .. فلما استيقظتا من نومهما أفضت كل منهما بالحلم الذى رأته الى الاخرى . فوضعتا ثقتهما فى الرب وذهبتا بالطفل الى قصر الملك ، ثم تركتاه حيث أمرهما الاله !

وفى ذات الوقت ، ظهر الاله - وقد حمل بيرقا عليه شعار الثور - فى الحلم للملك « سوريابرابها » ، قائلا : **« استيقظ ايها الملك . ان طفلا جميلا قد ترك أمام قصرك ، راقدا فى سلة ، ومعه بعض الذهب »** .. فلما استيقظ الملك حمل اليه البوابون نبأ العثور على الطفل أمام القصر . وذهب الملك بنفسه ليتأكد من الامر . فما أن وقع بصره على الطفل الجميل ، وقد زينت يداه وقدماه بوشم المظلة والبيرق - مما يشهد بطيب منبته وكرم محتده - حتى تهلل طربا وهتف قائلا : « لقد من على الاله « سيفا » نفسه بابن ذكر ! »

وأقيمت الاحتفالات الصاخبة ، ووزعت الاموال على المحتاجين والمعوزين ، حتى غدت كلمة الفقر غير ذات موضوع . واستمر الغناء والرقص والموسيقى بغير انقطاع مدة عشرة أيام . ولم يلبث الملك أن أطلق على الطفل اسم « كاندرابرابها » .

ومرت السنون والطفل يترعرع فى قصر الملك . وكانت وسامة محياه وحسن خصاله يزدادان يوما بعد يوم . وينشران من حوله عبق السعادة والهناء ، فيتنسم شذاه كل من يختلطون به ، لا سيما أولئك الذين يتجهون اليه بمطالبهم .. **وقد عرفه الناس شجاعا ، كريما ، حكيما ، مما أهله لاحتلال مكان أبيه ، بعد وفاته ، بجدارة ..** وما لبث الملك أن تنازل له عن العرش ، مكرسا ما بقى من سنوات عمره للعبادة فى جبال (البنارس) .. فأمسك الملك الشاب بزمام الحكم ، بينما اعتزل أبوه العالم لكى يؤدى طقوس العبادة والتصوف ، حتى فاضت روحه !

فلما علم الملك « كاندرابرابها » بوفاة أبيه حزن حزنا شديدا .. وما أن فرغ من مراسم الجنازة حتى نادى مستشاريه ، وقال لهم : « كيف أستطيع أن أرد لابى بعض الدين الذى طوق به عنقى ؟.. **لقد قررت أن أحمل عظامه الى نهر (الجانجز) ، لاطهرها بمائه المقدس ، حسب الطقوس المرعية ، ثم أذهب الى أقليم (جايا) لأؤدى تقدمات الميت الى أجداده . وسأنتهز هذه الفرصة فاحج الى الشواطىء الشرقية القاصية ! »** .

لكن مستشاريه احتجوا عليه قائلين : « هذا عمل لايليق بك على الاطلاق ، ياصاحب الجلالة . كيف تسمح لنفسك بأن تترك مملكتك المهددة بالاعداء من كل جانب بلا حراسة ؟

دع غيرك يذهب بالتقدمات . أما عن السفر ، فهل ترى أن الحج أخطر شأناً من أداء واجباتك نحو الدولة ؟ .. وفضلا عن ذلك ، ما الذى يدعوك الى تعريض حياتك للاخطار ، بالسفر فى طريق مجهولة ، بينما الحراس يحيطون بك من كل جانب فى قصرك ؟ »

فأجاب الملك بقوله : « لاجدوى من الجدال . لقد استقر عزمى على الذهاب من أجل أبى . واذا توانيت الآن - وأنا فى مقتبل العمر وريعان الشباب - عن الحج الى الاراضى المقدسة ، فمتى أفعل اذن ؟ .. من الذى يستطيع التنبؤ بما قد يحيق به - على حين غرة وبلا انتظار - وهو فى جسده الفانى ؟ انكم عبثا تحاولون أن تثبطوا عزيمتى ! .. كل ما أوصيكم به ، هو أن تحرسوا المملكة وتنتظروا عودتى ! » ..

وكان اليوم الذى حدده الملك لرحيله مشرق الشمس سعيد الطالع . فما ان استيقظ حتى اغتسل ثم قدم ذبائحه للنار ، وبارك البرهميين ، ثم انطلق فى عربته متدثرا بملابس الاحرام الناصعة البياض . وتبعه حشد كبير من الحرس والحاشية والفلاحين الى حدود المملكة . وبعد أن ودع المودعين بدأ رحلته بصحبة كاهنه الخاص وعدد من البرهميين الذين تبعوه فى عرباتهم . وكانت الرحلة حافلة باسباب التسلية ، فقد شاهد مدنا كثيرة لم يزرها من قبل ، واستمتع بمنظر الازياء المتباينة ، واللهجات المختلفة ! ..

واخيرا وصل الى نهر الجانجز ، فاكتحلت عيناه بمرأى النهر المقدس ، وقد بدت أمواجه وكأنها سلم متحرك يبلغ بالانسان عنان السماء درجة بعد درجة !.. وكان «جانجا» الالهة - التى برزت من وسط جبال الجليد - كانت تقلد

معابثات ((أميكا)) الغرامية ، وتداعب بأناملها الرقيقة خصلات شعر الاله ((سيفا)) الفاحمة السواد !

وهبط الملك من عربته ، واغتسل فى مياه النهر المقدسة متطهرا من أدرانه وخطاياه ، ثم ألقى — فى احتفال مهيب — عظام أبيه فى مياه النهر . وما أن فرغ من توزيع الصدقات على المحتاجين والقيام بمراسم الجنازة ، حتى ارتقى عربته ميمما شطر اقليم (براجايا) الذى تغنت الالهة بقدسيته .

وهناك حيث تلتقى مياه نهرى (الجانجز) و (جوما) ، فيمتزج اللونان الأصفر والأزرق فيبدوان كالزبد حين يختلط بالدخان فى لهيب النار ، صام الملك عن الطعام ، حتى اذا نال قسطا من الراحة بعد ما لقيه من عناء الرحلة ، اغتسل وقدم عطاياه للكهنة والمعبد ، ثم تابع رحلته الى جبال (البنارس) التى بدت — ومئات البيارق ترفرف فى فضائها فوق مئات المعابد — وكأنها تلوح للناس قائلة : ((هلموا الى لكى تنالوا الخلاص الأبدى !))

وهناك قضى الملك ثلاثة أيام صائما عن الطعام ، يتعبد للالة ((سيفا)) ، ثم عاد ادراجه الى نهر (جايا) واخترق فى طريقه غابات زاخرة بالأشجار المثقلة بشتى أنواع الثمار الشهية ، **والطيور تشنف أذنيه بشدوها متغنية بمديحه ، والريح تلقى بآلاف الزهور تحت قدميه ، تكريما له .**

وعند ضفة نهر (الجاياسيراس) المقدس ، قام بالمراسم النهائية للجنازة ، حسب الطقوس المدونة فى الكتب والأوراد ، ووزع هدايا ثمينة على الكهنة الذين قاموا بتلك الطقوس . وأخيرا ذهب الى الكهف المقدس ليلقى بتقدمة الموتى فى النبع ، ولكنه ماكاد يهم بالقائها حتى برزت من الماء ثلاث

أياد بشرية ، فتولته الحيرة ، ولم يدر فى أى يد يضع التقدمة !

وقال له الكهنة : « مامن شك فى أن احدى هاته الأيدى هى يد لص ، فان آثار دق المسمار ظاهرة فيها ، بما لايدع مجالا للشك فى هذه الحقيقة . أما اليد الثانية التى تحمل بعض سيقان من نبات مقدس ، فلابد أنها يد أحدالبرهميين . وأما اليد الثالثة التى تبدو عليها الجلالة ، والتى يلتف حول أحد أصابعها خاتم ملكى ، فمن المؤكد أنها يد أحد الملوك . الا أننا لانعلم فى أية يد يجدر بك أن تضع تقدمتك ! »

***

ثم أنهى الشيطان المتربع على كتف الملك قصته قائلا : « والآن ، أخبرنى ياصاحب الجلالة ، فى أية يد ينبغى أن توضع التقدمة ؟ وتذكر أن الشرط القديم لازال ساريا ».

وكان الملك « تريفيكراماسينا » خبيرا بنصوص القانون السائد فى ذلك العصر ، فلم يستغرق فى التفكير طويلا ، بل قطع صمته قائلا : « **ينبغى أن توضع التقدمة فى يد اللص ، فهو ــ حسب القانون ــ الأب الشرعى للملك « كاندرابرابها » .. لأنه رغم أن البرهمى هو الأب الفعلى له ، الا أننا لانستطيع اعتباره الأب الشرعى ، اذ أنه باع أبوته بالمال الذى تقاضاه مقابل انجابه . كما انه كان بوسعنا أن ننسبه الى الملك « سوريابرابها » ــ لأنه هو الذى كفله طفلا ، وأنفق على تعليمه ، وأغدق عليه حبه وحنانه ــ لو أنه لم ينفق ــ فى سبيل تربيته وتعليمه ــ من المال الذى عثر عليه معه فى**

السلة . ومن ثم فلا يسعنا الآن ننسبه الى اللص لأنه هو أبوه الشرعى ، اذ هو الذى تزوج أمه بالماء المصبوب على كفيه ، وهو الذى أصدر لزوجته أمرا بأن تنجب له طفلا ، وهو الذى دفع المال الذى صرف عليه .. وعلى ذلك فلا مناص من أن توضع التقدمة فى يده هو ! »

وما كاد الملك يغلق فمه حتى اختفى الشيطان مرة أخرى من فوق كتفيه ، عائدا الى مقره . وكما فعل الملك فى المرات السالفة تبعه الى هنـــاك ، وأنزله من شجرة (السيستو) . وفيما كان يسير — فى صمت — حاملا اياه فوق كتفيه ، تحدث هذا اليه قائلا : « لماذا تصر على عنـادك ياصاحب الجـلالة ؟ لايليق بك أن تسلمنى الى ذلك الراهب اللئيم . أترك هــذا الأمر واستمتع بملذات الليل . ولـكن ، مادمت تصر على عزمك ، فاليك قصة أخرى :

الضحية

« فى **ذات** يوم منذ مئات السنين ، كان أحد الملوك ويدعى « كاندرافولاكا » يحكم مدينة اسمهـا (سيتراكوتا) — أو الراس المتألقـــة — وكانت منيعـة الحصون ، فأرهب ذلك أعداءها ، وجعلهم لايجرؤون على محاولة اجتياز حدودها . وكان ذلك الملك مرهوب الجانب — مما جعل رعاياه يشبهونه بالحظيرة التى تعجز أقوى الفيلة وأعتاها عن اقتحامها ! — كريم الصفات ، مما أكسبه محبة شعبه الى درجة العبادة ،

قوى البنية ، كريم النفس ، كامل الصفات .. الا أنه رغم أن الطبيعة حبته بغاية ما تشتهيه الأنفس ، كان مشغول البال على الدوام بفكرة واحدة لا تنفك تضنيه وتقض مضجعه !.. ذلك أنه بالرغم مما كانت تحفل به مدينته من أجمل الفتيات وأعرقهن حسبا ، لم يوفق فى العثور على عروس تناسبه .

وذات يوم شعر الملك بحاجة الى الترويح عن ذهنه المكدود ، فارتدى عباءة زرقاء موشاة بالذهب ، وامتطى صهوة جواد مطهم ، وخرج تصحبه كوكبة من فرسانه الى الغابة الشاسعة ليمارس هوايته المفضلة وهى الصيد !.. ولم يكن قد قطع مسافة طويلة فى الغابة حين صادف قطيعا من الخنازير البرية ، فأمطره وابلا من سهامه وأسقط منه عددا كبيرا . ثم رفع بصره نحو السماء فأبصر الشمس متدثرة بالغيوم ، تكافح لتشق لنفسها ثغرة تنفذ من ثناياها !

وقد أمده منظر الطبيعة الساحرة بقوة تضارع قوة الاله « آرجونا » ، فاستدار يطارد قطيعا آخر من الخراتيت يشبه فى ضخامته كتل الجبال التى قص « اندرا » أجنحتها ، وما لبث أن ألهبه حماس الصيد ، فأحس برغبة جامحة فى أن يتوغل فى قلب الغابة بمفرده ، ومن ثم وخز بمهمازه بطن جواده الذى أهاجه وخز المهماز ولذعات السوط ، فانطلق راكضا — بسرعة تفوق سرعة الصوت — غير عابىء بما يعترض طريقه من عقبات ، حتى قطع فى لحظات عشرة فراسخ فى جوف الغابة !

وأخيرا توقف الجواد ، فترجل الملك وأمسك بلجامه وراح يهيم به — متمهلا — فى الأدغال على غير هدى . وفجأة لمح

أمامه بحيرة كبيرة ، يحيط بهـا عدد من أشـجار اللوتس ، تتمايل أغصانها مع النسيم العليل ، فخيل اليه أنهـا تشير اليه بأصابعها قائلة : ((تعـال ، اقترب منى !)) ، فأطاع الملك نداءها ، واتجه اليها ثم خلع السرج عن الجواد ، وأرقده على الأرض ، ثم جاء من البحيرة ببعض الماء وسقاه ثم اغتسل بما تبقى منـه . وأخيرا أصلح الملك من شأنه وتناول قدرا من الطعـام وشرب من ماء البحيرة حتى ارتوى ، ثم جاء ببعض الأعشاب الجافة ، وافترشها تحت ظل الأشـجار . وراح يغمر المكان بنظراته متأملا مناظر الطبيعة فى شغف وافتتان .

وفجأة لمح فتاة عذراء باهرة الجمال ، تقف تحت شـجرة ضخمة وقـد ارتدت ثوبا متواضـعا أسـود اللون مهلهلا ، وعقصت شـعرها الى الخلف فى خصلة واحـدة . ومع أن وجهها وثوبها كانا مجردين من أى أثر للزينة فان جمالها كان يبهر العين . وقد أدرك الملك من رقة حالها وتواضع ثيابها انها احـدى الناسكات اللاتى اعتزلن العـالم ، هاربات من غوايات البشر !

وكان الملك سريع التأثر بالجمال ، وهدفا سهلا لسهام اله الحب المصنوعة من أوراق الورد ، فوقف يسائل نفسـه قائلا : ((من عساها تكون ؟ أتراها الحـورية ((سافيتيرى)) وقد جاءت لتستحم فى البحيرة ؟ أم هى الالهة البيضاء قـد تسلحت بكل فتنتها لتسلطها على الاله ((سيفا)) كى تستعيد حبه ، بعد أن سلاها وهجرها ؟.. أم لعلها البدر المنير ، وقد عاد بعد غيبة دامت نهارا كاملا؟ فلأقترب لأكتشف حقيقتها !))

أما الفتاة فما كادت تلمح الملك يتقدم نحوها حتى سـقط

من يدها اكليل الزهور الـذى كانت تجدله ، وتسـمرت فى مكانها ، مبهورة الأنفاس ، فاغرة الفم ، تناجى نفسها قائلة : « رجل كهذا فى الغابة ؟ من تراه يكون ؟ أهو انس أم جن ؟ **ما أبدع طلعته وأروع محياه !.. ان بهاءه خليق بأن يبعث الغبطة والسرور فى قلوب البشر جميعا !** » ..

ومنعها حياؤها من أن ترفع بصرها الى وجهه وكأنماكانت تخشى أن يعشى جمـاله عينيها ، فوقفت والأفـكار تضطرم بعنف فى صدرها تخالسه نظرات خجلى ، ثم لم تلبث أن أولته ظهرها ، بيد أنها ماكادت تشرع فى السير حتى تخاذلت ساقاها وتعثرت خطاها ، وكأنما صارت قدماها كتلتين من خشب .

وسرعان مالحق الملك بها ، وخاطبها بأسلوب مهذب ، يفيض أدبا ، قائلا لها : « لست أطلب منك أن تغدقى مظاهر الترحيب على ضيف وافد من بلاد بعيدة ، فقد أغنانى جمالك عن هذا . ولكن ، هل تحتم عليكم تقاليد النساك الهروب من الضيوف؟»

.. فلم تجد الفتاة بدا من الجلوس على الأرض ، والترحيب به كما جرى العرف ازاء الضيف . ولم يلبث الملك أن سأل الفتاة التى عشقها من أول نظرة قائلا : « **أى عائلة سـعيدة الطالع تلك التى تباركت بانتسابك اليها ؟.. وما اسمك ؟ لابد أنه يشبه فى وقعه على الآذان مذاق خمر الآلهة !** ما الذى يدعوك الى اساءة معاملة الزهور ، اذ تسجنينها داخل أسوار الدير ، بعيدا عن العالم ؟ »

فأجابته الفاتنة بقولها : « اننى « انديفارابرابها » .. أى بهاء اللوتس ، وقد أذن لى أبى اليوم أن أجىء الى البحيرة كى أغتسل . وأبى هو الناسك العظيم « كانفا » . وقـد عشت

ـ منذ أن ولدت ـ فى صومعة أبى التى تقع فى مكان قريب من هنا ! » .. وعلى الفور امتطى الملك صهوة جواده ، ميمما صوب صومعة الناسك « كانفا » ليطلب منه يد ابنته . فلما دخل الصومعة وجد الناسك متألقا وسط مريديه وحوارييه، وكأنه القمر وهم النجوم يحيطون به من كل جانب ، مصغين فى اناة الى مواعظه وتعاليمه !

وبعد أن قدمت للملك واجبات الضيافة ، ونال قسطا من الراحة ، خاطبه الناسك قائلا : « اصغ الى ما سأقوله لك يا بنى ، فهو لخيرك وفائدتك . انك تعرف ما تقاسيه حيوانات الغابة من فزع من الموت . **فأية لذة تجدها ـ اذن ـ فى قتل هذه الحيوانات البائسة ، التى لم تناصبك العداء ؟.. لقد جعل السيف للمقاتل كى يذود به عن نفسه ـ وعن غيره ـ حين يتعرضون للخطر . فأولى بك ـ يا بنى ـ أن ترعى القانون ، وتستخدم سلاحك فى حماية رعاياك** . تمتع بمباهج ملكك ، واعط بسخاء ، ودع رعاياك يثنون على عدالتك ، وامسك عن هذا الصيد الاجرامى ، الذى هو بمثابة مداعبة الموت ، **والذى يتساوى فيه الصياد والفريسة ، لأنهما كلاهما سواء فى الوحشية والعدوان ! »**

فنزلت نصائح الناسك وعظاته على أرض خصبة ، وسرعان ما أتت ثمارها . وقد تقبلها الملك « كاندرافالوكا » بامتنان وعرفان بالجميل ، وأجاب قائلا : « لقد تبت واهتديت على يديك يا سيدى المحترم . ولن أنسى معروفك هذا ما حييت . منذ اللحظة سأتوقف نهائيا عن الصيد ! » ، فقال له الناسك: « نعم ما قررت يا بنى . واننى لأقدر شهامتك وفضيلتك ، فاطلب منى ما تشاء ! »

وقـد أدرك الملك أن اللحظة مناسـبة لطلب ما يشـتهيه فؤاده ، فبادر الناسك بقوله : ((**اذا تفضلت ، هب لى ابنتك ((بهـاء اللوتس)) لتـكون زوجتى !))** ، فوافق الناسك على الفور .

وفى هذه اللحظة عادت ابنة الناسك ـ بعد أن استمتعت بحمامها ـ فأنهى اليهـا أبوها نبأ خطبتهـا ، ثم قام بنفسه بتزويجهـا من الملك المفتون . وقامت رفيقـات العروس من الناسكات بتزيينها ، ثم تبعنها الى حـدود الدير ، والدموع تتقاطر من عيونهن !

وانطلق الملك على صهوة جواده محتضنا عروسه . وفيما هو يخترق أحراش الغابة لمح شجرة تنتصب على ضـفاف بحيرة صافيـة صفاء قلب الانسان الفاضل ، وشاهد تحت الشجرة كهفا مظلما غطت أوراق الأشجار مدخله ، فلم يجد أفضل من هـذا المكان ليقضى فيـه ليلته ، ومن ثم نزل عن جواده وجلس مع عروسه يستروحان النسيم العليل الذى يهب من البحـيرة . وأخيرا أعدا فراشا من الزهور داخـل الكهف ثم ولجا مخدعهما آمنين !

وفى تلك اللحظة رفع القمر عن وجهه نقاب الظلام وطبع قبـلة على جبين الشرق الوضاح ، وارتمت طبقـات السماء فى أحضان أشعة القمر التى تسللت خـلال أوراق الشجر ، **فألقت على الأرض ضوءا متألقا يشبه النسيج الموشى باللآلىء ، بينما كان الملك يقضى مع عروسه ليلة خالدة ، حافلة بأسباب المتعة والهناء !**

ونهض الملك من فراشه عند الفجر ، وما أن فرغ من صلاة

الشروق ، حتى خرج مع عروسه ليلحقا بكوكبة الفرسان التى سبقتهما لتمهد لهما الطريق . وكانت الشمس قد صوبت شواظا من سهامها النارية لتغمدها فى صدر أمير الليل الذى أسرع يختفى بين شقوق الجبال .

بيد أنهما ماكادا يشرعان فى السير ، حتى هبط عليهما — على غرة — مارد من سلالة البرهميين ، **أسود البشرة ، فاحم الشعر ، يحيط رقبته بعقد مصنوع من الأمعاء ، ويرتدى ثوبا منسوجا من شعر الأنسان المجدول . وكان يلتهم قطعا من اللحم البشرى ، ويحتسى جرعات من الدم فى اناء مصنوع من جمجمة انسان !..** ومالبث المارد أن أطلق قهقهات مدوية مجنونة ، ثم تجشأ دما من فمه الشبيه بكهف رهيب ، والمغروسة فيه أسنان من أنياب الفيل !

وقال المارد للملك : « أيها اللئيم . اذا كنت لاتعلم من أنا ، فاعلم أنى المارد « باصق اللهب » ، من سلالة البرهميين . وهذا الكهف مأواى ، والآلهة ذاتها لاتجرؤ على انتهاك حرمته ! .. ناهيك وقد تخطيت أنت حدوده ودنسته بمخالطتك احدى النساء فيه ! . . لقد عدت فى الوقت المناسب ، كى أضبطك متلبسا بجرمك ، ولكى أعاقبك على الجريمة التى اقترفتها . سأنتزع منك قلبك — أيها المجرم ، صريع العشق والهيام — وسأشرب من دمك ! »

فلما سمع الملك تلك التهديدات طار لبه شعاعا من فرط الجزع ، اذ لاح له المارد ذا قوة جثمانية ليس بوسعه التغلب عليها ، فخاطبه بمذلة وخشوع ، قائلا : « عفوك يا سيدى ورحماك . فقد ارتكبت هذه الجريمة دون ما قصد . وأنا

على استعداد لأن أقدم لك الترضية اللازمة ، **فاذا ماصفحت عن ذنبى ، وعاملتنى معاملة الضيف الذى يلجأ الى دارك ، فسأكون طوع أمرك ، أنفذ كل ما تأمر به .. فقط ارفع عنى غضبك ! »**

فحدث المارد نفسه قائلا : « وما المانع ؟.. ليس ثمة ضرر من ذلك» ، ثم استدار الى الملك قائلا بصوت مسموع : «لابأس .. أصفح عن ذنبك . بيد اننى أعلق هذا الصفح على شرط أن يحضر لى فى ظرف سبعة أيام طفل فى السابعة من عمره ، ابن رجل برهمى ، مقدما نفسه طواعية ليفتديك بحياته ، وأن يشده أبوه وأمه – بأيديهما – الى الأرض ، لتذبحه بسيفك ذبحا !.. فاذا أخللت بهذا الشرط سأحطمك تحطيما ، انت وكل ما ملكت يداك ! »

وكان الملك فى حالة مروعة من الفزع والخوف ، فلم يجد بدا من الوعد بتنفيذ كل طلباته . وعلى الفور اختفى المارد عن ناظريه ، فامتطى الملك وعروسه صهوةجواديهما ، وسارا ليلحقا بالقافلة ، وهما فى حالة من البؤس والشقاء تجل عن الوصف ، حتى اذا وصلا الى مدينة (شيتراكيتا) وجدا سكان المدينة قد علقوا الزينات وأقاموا المهرجانات احتفالا بزفافه الميمون ، فاضطر الى اخفاء همه فى قلبه طول اليوم .

بيد أنه عقد – فى اليوم التالى – اجتماعا سريا مع مستشاريه ، سرد عليهم فيه تفاصيل الكارثة التى ألمت به والتى غدت مصدر خطر على حياته . وكان بين أولئك المستشارين رجل عرف بالحكمة وسرعة البديهة ، وقد قال للملك : « لا تستسلم لليأس ياصاحب الجلالة . **فانى أعدك**

بأننى لن ألبث أن أعثر لك على الضحية المناسبة وسأحضرها لك بنفسى ، فان الأرض مليئة بالمعجزات ! »

وما أن خرج المستشار الحكيم من الاجتماع ، حتى أصدر أمرا بأن يصاغ تمثال من الذهب لطفل فى السابعة من عمره ، وبأن تزين أذنا التمثال بقرطين من الجواهر الثمينة ، وأن يوضع التمثال فوق عربة تسير فى جميع أرجاء المدينة ، وباقى القرى والكفور ، يتقدمها مناد يدق الطبول صائحا : « ياأهل المدينة . هل من بينكم طفل فى السابعة من عمره ، مستعد أن يضحى بنفسه — فداء لوطنه ومليكه — بأن يلتهمه مارد شرير ، **بشرط أن يوافق أبواه على هذا التطوع ، وأن يقبلا أن يشداه — بأيديهما — الى الارض أثناء ذبحه** ؟ اذا كان هنالك مثل هذا الطفل ، فليتقدم الى الملك ، وسيهدى الملك التمثال الذهبى الموشى بالجواهر الكريمة ووثيقة ولاية مائة قرية الى والديه ، تعويضا لهما عن خسارتهما ! »

***

وكان يعيش فى حى البرهميين ، فتى فى السابعة من عمره ، يتمتع بنضوج عقلى مبكر ، ووسامة تقاطيع .. وقد تصادف أن سمع الفتى نداء المنادى . فأوحت اليه العادات — التى رسخت فيه منذ أن كان يعيش حياته السابقة — بحمية وحماسة متدفقتين لأن يصنع الخير لاخوانه من بنى البشر ، فاتجه الى المنادى قائلا : « اننى على استعداد لأن أضحى بحياتى من أجل وطنى . ولكن يجب أن أذهب أولا الى أبى لأنهى اليه ما استقر عليه عزمى ! » ، فكاد المنادى يطير فرحا ، وأذن له بالذهاب الى منزله . وهناك وقف أمام والديه وقفة

خشوع ، وضم يديه الى صـدره يناشدهما قائلا : « اننى مشتاق لأن أضحى بجسدى الفانى لخير البشرية . لذلك جئت طامعا فى موافقتكما على هذا الأمر . **وسيكون لكمـا عزاء فى صورة منى منحوتة من الذهب الخالص والجواهر النفيسة ، فضـلا عن ولاية مائة قرية** . وبوسـعكما اذا ما تخلصتما من الفقر ــ الى غير رجعة ــ أن تنجبا الوفير من الأبناء عوضا عنى ! »

بيد أن أبواه زجراه قائلين بعنف : « ماذا حدث لعقلك يابنى ؟ ماذا تقول ؟.. هل مستك الريح أم لعله الشيطان قد سكن جسدك ؟.. **من من الآباء يقبل أن يذبح ابنه لقاء مبلغ من المال ؟ وأى ابن هـذا الذى يتطوع لأن يقتل ؟** » ، لكن الفتى أجابهما قائلا : « كلا . لست مجنونا أهـذى . اننى أتوسل اليكما أن تصغيا الى ما سأقوله لكما وأن تتمعنا فى دلالته . ان هذا الجسد الفانى ، المحتقر منذ ولادته ، والملىء بالدنس والأدران ، لن يلبث أن يدب فيه الفساد . وقد أوحى ماقد نجنيه من فائدة ــ عن طريق هذا الجسد ــ الى الحكماء أن يطلقوا عليه « سر الوجود » !.. وهل هناك فائدة أجل من المساهمة فى خدمة البشرية ؟.. **بيد أن هذا لم ينسنى انه ما لمستحق أن يولد من تجـرد قلبه من حب أبويه ومراعاة احساسهما** . لذلك جئت اليكما التمس رضاءكما ! »

وكانت كلمات الفتى تنضح عزما وتصميما ، حتى لقد أقنعت الوالدين بالانصياع ــ على كره منهما ــ الى مشيئة ابنهمـا . وهرع الفتى راكضا ــ يتبعه أبواه ــ الى المنادى ، وتسلم منه التمثال الذهبى ووثيقة ولاية مائة قرية وسلمها

جميعا الى أبيه ، ثم وضع نفسه تحت تصرف رجال الحاشية الذين قادوه فى موكب عظيم الى قصر الملك . وقد امتلأ الملك غبطة لعثوره على هذا الفتى الصادق العزم ، وكأنما قد عثر على تميمــة نادرة !.. **وما لبث الملك أن أركب الفتى فيله الخاص ، مكلل الرأس بالغار ، ومعطر الثياب بأغلى ألوان العطور المتضوعة ، ثم قاد الفيل بنفسه ـ يتبعه والد الفتى ـ الى الغابة !**

وفى المكان الذى التقى فيه الملك بالمارد ، رأى دائرة سحرية مرسومة على الأرض بجوار شجرة (الأزفاتا) . وهنالك قام كاهن القصر الملكى بالمراسم اللازمة ثم قدم الذبائح والقرابين الى اله النـار . فما كاد يفرغ من ذلك حتى ظهر المـارد ، قاذف اللهب ، وهو يطلق ضحكة مدوية ارتج لهـا المكان ارتجاجا ، وراح يقرأ أورادا من كتـاب « الفيـدا » ، **وهو بين ذلك يتمطى ويتجشأ ـ بلا توقف ـ ومقلتاه المحتقنتان تدوران فى محجريهما ، وقد ألقى شبحه الرهيب ظلا قاتما فوق الجميع !**

وعندئذ خر الملك على ركبتيه أمام المارد ، قائلا : « ها قد انجزت وعـدى ، وأحضرت لك ـ حسب طلبك ـ ضحية آدمية ، قبل أن ينقضى اليوم السابع . فاشفق على عبدك واقبل منه تضحيته بما يليق بهـا من احترام وتبجيل ! » . فنظر المارد الى الفتى البرهمى ، وهو يتلمظ ويلعق قطرة من الدم انسابت من بين شفتيه !

وأغمض الفتى القديس عينيـه ، وراح يهتف فى سريرته قائلا : « **أيها الاله كريشنا . اننى لا أطلب منك أن تجعل الجنة**

مثواى ، حيث لا مكان لخدمة الآخرين ، بل ـ على العكس ـ أن تبعثنى من جديد ـ مرة تلو المرة ـ فى جسد آدمى ، أستطيع بواسطته أن أقدم خدمات جليلة للغير من بنى البشر !! »

وفيما هو يعبر عن نواياه الطيبة ، اكتظت السماء بعربات روحانية يقودها حشد من الآلهة ، لم يلبثوا أن أمطروه بوابل من الأزهار اليانعة . وعندئذ ، أقتيد الفتى أمام المارد ، وأمسكت أمه بيديه ، بينما شد أبوه ساقيه ، وشهر الملك سيفه ليذبحه !.. لكن الذهول والدهشة استوليا فجأةعلى الجميع ، اذ انفجر الفتى ضاحكا . فوقفوا جميعا ـ بما فيهم المارد ـ فاغرى الأفواه ، معقودى الأذرع ، لا يحيرون حراكا! »

***

وبعد أن فرغ الشيطان من سرد هـذ القصـة اللطيفـة ، التى تثقف العقـول ، قـال للملك « تريفيكراماسينا » : « اخبرنى ـ أيها الملك ـ لماذا ضحك الفتى فى تلك اللحظة .. لحظـة موته ؟.. ان هذا السؤال يحيرنى ، فلا أجد له جوابا . فاذا كنت تعرف الحل الصحيح وترفض الافصاح عنـه ، فان رأسك سيتفتت الى مائة قطعة ! »

فأجاب الملك قائلا : **« اليك ما كان يدور بخلد الفتى حين ضحك : ان الشخص الضعيف يلجأ عادة ـ اذا ما نزلت به نازلة ـ الى الاستنجاد بأبيه وأمه . فاذا كان يتيما فانه يلتجىء الى الملك مناشدا اياه الغوث**

والمعونة . فاذا لم يجد الملك فانه يستنجد بمن تربطه به رابطة القربى . وفى حالة فتانا هذا كان جميع هؤلاء يحيطون به ، بيد أنهم كانوا يقفون منه موقفا شاذا !.. فهاهما والداه يشدانه الى الأرض ممسكين بيديه وساقيه ، طمعا فى ما نالاه من مال . وهاهو ذا الملك يشهر سيفه ليذبحه أملا فى انقاذ عنقه .. أما أقرب الناس اليه بعدهم ، فقد كان المارد - سليل البرهميين - الذى شرع فى التهامه .. لقد خامرته سخرية لاذعة حين أدرك مدى خديعة البشر فى قيمة أجسادهم الفانية ، حتى ليلجأون الى كل السبل لحمايتها والابقاء عليها ، بينما كتب على الجميع - بما فيهم الآلهة براهما ، واندرا ، وسيفا ، وفيشنو - أن يلاقوا الموت ان آجلا أو عاجلا ، برغم مباهاتهم بما توهموه من أنهم خالدون . فما نفذ الفتى ببصيرته الحادة الى هذه الحقيقة الرائعة حتى انفجر ضاحكا ، ساخرا من الناس ، مطمئنا الى مصيره الهانىء السعيد !!))

وأمسك الملك عن الكلام ، فاختفى الشيطان مرة أخرى عن كتفه ، عائدا - بقوة السحر - الى مأواه . ولم يتردد الملك ، بل هرع مقتفيا أثره من جديد . لأن الرجل العظيم حقا هو من أوتى قلبا ثابت الجنان ، لا ييأس أمام ألاعيب الشيطان . ومن ثم أنزله من الشجرة ثم حمله فوق كتفه . وفى الطريق ، خاطبه الشيطان قائلا : ((انك رجل طيب القلب ياصاحب الجلالة .. بل أنك لرجل عظيم . ولذلك فانني أسوق اليك هذه القصة العجيبة :

أربعة صنعوا أسدا

« **منذ** آلاف السنين كان أحد الملوك ـ ويدعى « دهارانيفاها » ـ يجلس على عرش دولة الأزهار . وفى احدى مقاطعات دولته ، واسمها (براهماستالا) ، عاش برهمى يدعى « فيشنوسفامين » . وكان لذلك البرهمى زوجة تتفق معه فى كل صفاته ، كما تتفق ابتهالات « سفاها » (١) مع نار الذبيحة !.. وقد رزق الزوجان بأربعة أبناء ، تدرجوا فى التعليم ، حتى اذا ما انتهوا من دراسة علم (الفيدا) ، وقد بلغوا طور الرجولة ، رحل أبوهم « فيشنوسفامين » الى السماء ، ثم لحقت به زوجته ، **تاركين خلفهما ابناءهما دون أى خبرة فى الحياة . وقد كانوا على درجة كبيرة من البساطة والسذاجة . ومن ثم لم يكن من المستغرب أن يقعوا ضحية غفلتهم وأن ينهب أقاربهم كل ميراثهم !**

وقد اجتمعوا سويا ـ ذات مرة ـ ليتشاوروا بشأن ما وصل اليه حالهم ، فاستقر رأيهم على انه لم يعد بوسعهم المكوث فى بلدتهم ، وانه من الأفضل لهم أن يولوا وجوههم صوب قرية (ياجناستالا) ، حيث ينزلون فى ضيافة جدهم لأمهم !.. وبالفعل ، ما أن أشرقت شمس الصباح حتى حملوا متاعهم وشدوا رحالهم الى تلك القرية . وبعد أن ساروا أياما طويلة ـ كانوا خلالها يتسولون طعامهم من عابرى السبيل ـ وصلوا الى منزل جدهم ، بيد أنهم بوغتوا

---

(١) احدى الابتهالات التى كانت تصاحب تقديم النذور فى الاحتفالات الضخمة التى يقيمها البرهميون .

بأن جدهم هذا قد مات ، وأن أولاد خالهم قد استولوا على منزله .. وقد أكرم أولاد الخال فى أول الأمر وفادتهم ، فقبع الاولاد الاربعة فى المنزل ، مستمتعين بأطايب الطعام ولذيذ الشراب .

ولكن الشهور مضت ، ولم يبد على أولئك أن فى نيتهم العمل لكسب قوتهم ، وكأنما استمرأوا حياة الدعة والكسل ، فلم يلبث أقاربهم أن ضاقوا ذرعا بهم ، وتغيرت معاملتهم لهم وصاروا يوجهون اليهم قارص اللوم ولاذع الكلم . وعندئذ سرى القلق والاضطراب الى صدور الأخوة الأربعة ، فعقدوا — فيما بينهم — اجتماعا ناقشوا فيه حالهم . فقال الأخ الأكبر : « ماذا نستطيع أن نفعل يا اخوتى ؟ **ان الانسان — فى هذه الدنيا — مسير لا مخير ، وكلمة القدر هى العليا ، فليس للمرء حيلة فى أى شىء** . ومثال ذلك أننى بينما كنت أتجول اليوم قانطا ، على غير هدى ، قادتنى قدماى الى أرض محرقة ، وهناك وقعت عيناى على جثة منتنة ، فقلت لنفسى : « ما أسعد هذا الرجل !.. لقد ألقى عن كتفيه ثقل الهموم والأحزان فاستراح ! » .. وفى هذه اللحظة خطرت بذهنى فكرة الانتحار ، فشرعت على الفور فى تنفيذها ، وربطت حبلا بأحد الأشجار ، ثم لففت عقدته حول عنقى ، ولم ألبث أن رحت أتأرجح فى الهواء . ولكننى ، قبل أن تفارق الروح جسدى ، انقطع الحبل فسقطت على الأرض فاقد الوعى . حتى اذا أفقت رأيت رجلا يرطب جبينى بقطعة مبللة من النسيج . فما رآنى أفتح عينى حتى قال لى : « لماذا تفقد الامل ياصديقى ؟ ألا تعلم أن الشؤم من التشاؤم ، وأن الحياة لا

تبتسم الا للمتفائلين ، بينما تولى ظهرها للذين لا يولونها ثقتهم ؟ اليك نصيحة لاتخيب أبدا : اذا ألمت بك كارثة فاصنع لغيرك خيرا ، وعندئذ سترى أبواب السعادة قد فتحت لك ذراعيها . فهل تطيعنى فى ذلك ؟ أم لعلك مشتاق لأن تتلظى بسعير النار ، التى لابد أن تتردى فى جحيمها ، اذا ارتكبت جريمة الانتحار ؟! »

« ولم يتركنى الرجل الا بعد أن تأكد من أننى قد أقصيت عن ذهنى فكرة الانتحار تماما ، فعدت الى المنزل .. **ذلك لأن القدر اذا عاند انسانا ، فليس بوسعه أن يحقق شيئا ، حتى ولا التخلص من الحياة !..** وهكذا لم يعد أمامى بصيص من الأمل . فعزمت على التوجه الى الاراضى المقدسة كى أحرق هناك نفسى بنار الندم والتوبة ، ناسيا ما أنا فيه من فقر ومسغبة ! »

واذ ذاك هتف أخوته قائلين : « ولكن ، لماذا نقاسى آلام الفقر وقد أوتينا عقلا نفكر به ؟ ألا تعلم أن الثراء ليس الا حالة طارئة ، وأنه سريعا ما يزول كما تزول سحب الخريف ؟ **انه مثل الزوجة الخائنة ، والخليلة اللعوب ، والصديق غير الوفى ، فقد يمكنك أن تستحوذ على ولائهم فترة من الزمن ، لكنهم لن يلبثوا أن يقلبوا لك ظهر المجن !** والرجل الذكى هو الذى يستخدم عقله فى اتقان علم خاص ، يستخدمه فى استعادة ثروته أو عشيقته ، اذا ما شعر بحنين الى أى منهما ! » ، فقال الأخ الأكبر : « ولكن ، ما هو العلم الذى يستطيع المرء أن يتقنه ؟ »

فراحوا جميعا يقدحون زناد فكرهم ، حتى اهتدوا الى



وما كاد اللص يشرب - بشراهة - جرعة من الماء حتى أسلم الروح .

(ص ٦٠)

فكرة لابأس بها : **وهى أن يتجولوا فى أرجاء الأرض ، ليكتشف كل منهم الفن الذى يناسبه ، ثم اتفقوا على مكان اللقاء ، بعد زمن معين .** وأخيرا افترقوا وقد ولى كل منهم وجهه شطر جهة من الجهات . ومرت سنتان التقوا بعدهما فى المكان الذى سبق لهم أن اتفقوا عليه . وراح كل منهم يسأل الآخر عن الفن الذى أتقنه !

فقال الأول : « لقد توصلت الى علم أستطيع بواسطته — اذا ما وقعت فى يدى قطعة من عظام أى نوع من الحيوانات — أن أغطيها باللحم » ، وقال الثانى : « وأنا قد تعلمت كيف أغطى تلك العظمة ذات اللحم بالجلد والشعر » ، وقال الثالث : « وأنا بوسعى أن أكمل هذه العظمة فأجعل منها جسم حيوان » ، وقال الرابع : « أما أنا فأستطيع أن أنفخ الروح فى هذا الجسم ! »

ورغب كل من الاخوة الأربعة فى استعراض علمه ، فتوغلوا فى الغابة باحثين عن قطعة من العظم . وقد شاء القدر أن تكون قطعة العظم التى عثروا عليها هى ماتبقى من أسد نفق من فرط الشيخوخة . فالتقطوها دون أن يعرفوا ذلك . وكساها أولهم باللحم ، ثم كساها الثانى بالجلد والشعر ، ثم غرس فيها الثالث الرأس والأطراف ، ثم نفخ الرابع فيها الحياة . فانتصب الاسد على أقدامه فاغرا فمه الرهيب ، مكشرا عن أنيابه الفظيعة المتعطشة للدماء ، ولم يلبث أن أبرز مخالبه الرهيبة وانقض على خالقيه ، فقضى عليهم جميعا !

وهكذا لقى البرهميون الأربعة حتفهم . لأنه من ذا الذى

يجد سعادة فى أن يخلق شيئا شريرا ؟ ومن ثم فان العلم الذى نبذل فى سبيله عرقا غزيرا قد يصبح شيئا عديم الجدوى ، بل وفى معظم الأحيان أداة للتهلكة ! فما لم تكن جذوره غائرة فى باطن الأرض ، وتروى بماء الذكاء ، وتحاط بخندق الحكمة والفراسة ، لن تحمل شجرة الجهد البشرى أية ثمرة ! »

***

وسأل الشيطان الملك قائلا : « من من أولئك الاخوة يقع عليه الوزر الأكبر فى خلق ذلك الأسد الذى أودى بحياتهم ؟ .. تذكر أن الشرط القديم مازال قائما » . وعندئذ حدث الملك نفسه قائلا : « ان الشيطان سيختفى – مرة أخرى – بمجرد انتهائى من حل هذا اللغز . ليكن ، وليفعل ما يشاء ، فلن يعجزنى أن أقتنصه من جديد ! »

ثم أجاب الشيطان قائلا : **« ان الشخص الوحيد الذى يقع عليه اللوم هو ذلك الذى بعث فى الأسد الحياة . أما الآخرون فمن السهل ان نلتمس لهم العذر ، لأنهم عندما مارسوا فنونهم ، لم يكن بوسعهم التكهن بنوع هذا الحيوان . أما الأخير فقد شاهد هيكل الأسد كاملا أمام عينيه ، ومع ذلك نفخ فيه الحياة ، لمجرد التباهى بفنه ، والرغبة فى استعراض مهارته . ومن ثم فان جريمة قتل الأربعة تقع على عاتقه ! »**

وما أن سمع الشيطان الماكر جواب الملك حتى طار عن كتفه ، عائدا — مرة أخرى — الى شجرة (السيستو) . فسعى الملك « تريفيكراماسينا » خلفه ، ثم حمله على كتفه ، متحديا جميع الألاعيب والخدع التى استعان بها الساحر . وفى أثناء الطريق قال له الشيطان : « ان مثابرتك فى السعى وراء المستحيل ، تجعل من العسير على المرء أن يقهرك . ومع ذلك فسأقص على مسامعك قصة مشوقة . أنصت :

عودة الناسك الى شبابه

« تقع ولاية (كالينجا) فى الشمال الشرقى من الهند ، وعاصمتها (سوبهافاتى) . وكانت تلك المدينة — فى سالف العصر — تمتاز بجمال مبانيها وثراء سكانها . وكانت مثل عاصمة ملك الاله « اندرا » فى السماء لاتأوى بين أسوارها سوى أتقياء الناس . وزاد من البركات التى حبتها الآلهة بها أن تولى حكمها الملك « براديومنا » الذى كان يتمتع بخصال جليلة ، فلم يلبث صيته أن ذاع ، وأصبح اسمه ملء الأسماع ، وصار الناس — اذ يرونه — يذكرون على الفور عظمة وعدالة وقوة بأس جده الأكبر الملك « براديومنا » !

وكانت الضرائب لاتجمع فى مملكته الا بالمحبة والرضا ، ولا يغدو المستقيم معوجا الا عند الانحناء ، ولا يحس أحد بلذعة الا لذعة الفكاهة والنكات !

وقد خصص الملك حيا من المدينة لسكنى البرهميين ،

وكان كل منهم يملك فى هذا الحى قطعة من الأرض ، يتصرف فيهــا كيفما يحلو له . وكان يعيش فى ذلك الحى البرهمى « ياجنوساما » . وكان مشهودا له بغزارة المعرفة وســعة الاطلاع ، كما انه تفقه فى علم « الفيدا » . وكان «ياجنوساما» يفنى الجزء الأكبر من ثروته فى ذبائح التقدمات ، كمــا كان يعتبر للآلهة الحق الذى للضيف فى أثمن ما يقتنيه . وعاش هــكذا متمتعا باحترام الجميع . حتى اذا ما بلغ من العمر أرذله ، استجابت الآلهة لصلواته ودعواته التى عاش عمره يرددها ، فأنجبت له زوجته ابنا ذكرا ، احتفل الكهنة بمولده احتفالا مهيبا ، وأطلقوا عليه اسم « ديفاسوما » .. ذلك لأنهم توسموا فيه دلائل العظمة والخلود !

وترعرع الابن فى كنف أبيه ــ ستة عشرة عاما ــ اغترف خلالها من كنوز العلم والمعرفة . ولكن الصبى لم يلبث أن أصابته حمى قاتلة فقضى نحبه . الا أن أباه وأمه ــ اللذين كانا يحبانه الى درجة العبــادة ــ رفضا تسليم جثتــه الى اللحادين ليقوموا بحرقها ، بل أبقيــاها بالمنزل لا يــكلان من احتضانها !

وذهب وفد من سكان المدينة الى البرهمى العجوز ، وقالوا له : « أيها البرهمى . يا من بلغت أرفع مراتب الحــكمة . **ألا تعرف زيف هذه الصورة التى ندعوها بالحياة ؟ ان ملوك الأرض الذين حشدوا أقوى الجيوش ، وأوفرها عدة وعددا ، والذين أحاطوا أنفسهم بأجمل المحظيات ، وتوسدوا الحشايا المزينة بأغلى الجواهر ، وشنفوا آذانهم بأعذب الألحان .. أولئك الذين كانوا يعدون أنفسهم آلهة على الأرض ، لم ينج**

أحدهم من مصيره المحتوم ، واستقرت أجسادهم فى النهاية - واحدا بعد الآخر - فوق أرض المحرقة ، تتردد من حولهم ولولة أقاربهم ورعاياهم . ومع ذلك لايجدر بأحد أن يحزن على موتهم . فكيف اذن يحق لنا أن ننوح على غيرهم ؟ »

هكذا راح شيوخ البرهميين يتوسلون اليه محاولين أن يقنعوه بالافراج عن جثة ابنه ، حتى انصاع أخيرا لتوسلاتهم . وعندئذ أقام أهل المدينة مراسم الموت ، وحمل أقارب البرهمى جثمان الصبى الى أرض المحرقة ، يتبعهم حشد لا حصر له من الناس يذرفون الدموع الساخنة !

وكان ناسك كهل قد اتخذ من أرض المحرقة هذه مأوى له ، وقد انزوى فيها داخل كهف صغير . وكان ثقل السنوات الطويلة وما لقى من مصائب الحياة قد قصمت ظهره ، فهزل جسده ، حتى بدا كأنه تجرد من اللحم ، ولم تبق غير شرايينه تشد عظامه وتحول دون انهياره !.. وكان هذا الناسك الذى يدعى « ياساميفا » شاحب اللون ، تكسو جسده ذرات الرماد المتخلفة من الجثث المحترقة ، ويعلو هامته تاج من الشعر الأصفر اللون كالشفق .. فكان يبدو صورة حية للاله « سيفا » !

وكان لذلك الناسك تلميذ يلازمه على الدوام ، ويعيش على التسول من أهل الخير . وكان ذلك التلميذ يتصف بالغباء والخبث والغرور ، ولا يمل الشكوى من الجهد المضنى الذى يبذله فى أداء مهنته !

وقد بلغت أصوات النواح والعويل ، الصادرة من مشيعى جنازة ابن البرهمى الحكيم ، الى مسامع الناسك القابع فى

كهفه ، فقال لتلميذه : « اذهب وتبين مصدر هذه الأصوات المزعجة التى تصم الآذان والتى لم أسمع لها مثيلا من قبل ! » ، فأجابه التلميذ قائلا : « **ولماذا لا تذهب لتتبين ذلك بنفسك ؟ لقد انقضى موعد تسولى ! »** ، فاستشاط الناسك غضبا وصاح به : « ويل لك أيها الأحمق ، الذى لا هم له سوى حشو بطنه . هل انقضى موعد تسولك ولم يمض على غروب الشمس سوى ساعتان ؟ » . بيد أن الفتى لم يرتدع ، وانما واصل سبابه قائلا : « عليك اللعنة أيها الخرقة البالية من العظام المنتنة ! من الساعة لست تلميذك ولست معلمى . اننى سأرحل بعيدا ، تاركا اياك لتتسول لقمتك بنفسك !! »

ثم انصرف تاركا للناسك عدة التسول : وهى السلة والعكاز ، فلم يجد الناسك بدا من الخروج الى المكان الذى خصص لحرق جثة البرهمى الشاب . **وما وقع بصره على تلك الجثة الغضة ، لفتى لم يكد يبلغ سن المراهقة ، حتى قرر أن يعيش ما تبقى من حياته فى ذلك الجسد .**

وعلى الفور شرع فى تنفيذ خطته ، فاختار لنفسه بقعة منعزله ، ليطبق فيها ما تعلمه من أسرار علم « اليوجا » .. وهناك أخذ يبكى بحرقة ، ثم لم يلبث أن كف عن البكاء ليرقص رقصا عنيفا ، بخطوات سريعة سرعة البرق . فلم يمض وقت طويل حتى انتقلت روح الناسك الكهل – المتحرق شوقا الى الشباب – من جسده الهامد الى جسد الفتى النضير . ولم يلبث الفتى أن فتح عينيه ثم نهض جالسا وهو يتثاءب !

ولما شاهد الحشد الحزين الفتى وقد ردت اليه الحياة ، هتفوا قائلين : « لتتبارك الآلهة ! انه حى ! انه حى ! » ..

وتوجهوا اليه يسألونه عن سر المعجزة التى حدثت له ، فرفض الناسك المتبحر فى علم « اليوجا » أن يبوح لهم بالسر ، وفضل أن يختلق لهم قصة خيالية ، فقال لهم : « لقد مت وانطلقت روحى الى الاله « سيفا » . بيد أنه سمح لى بالعودة الى الحياة ، على شريطة أن أعتزل العالم لأكرس حياتى للعلم والمعرفة . لذلك أرجو أن تتركونى بمفردى ، كى أتفرغ للمهمة التى ألقيت على عاتقى ! »

وهكذا تخلص الناسك من أقارب الفتى الذين غادروا المكان تتنازعهم عاطفتان متضاربتان : الفرح لعودته الى الحياة والحزن لحرمانهم منه . أما الناسك الذى عاد الى شبابه فقد رحل الى مملكة أخرى ، ليعاود دراسته وتأملاته ! »

***

وعندما فرغ الشيطان من سرد قصته ، سأل الملك « تريفيكراماسينا » قائلا : « أخبرنى أيها الملك ، لماذا بكى الناسك العجوز فى بادىء الامر ، ثم رقص رقصا عنيفا ، وهو يؤدى الطقوس لنقل روحه من جسده القديم الى جسد الفتى ؟ اننى مشوق لمعرفة السبب !»

وخاف الملك أن تصيبه لعنة الشيطان ، فأجابه قائلا :

« لقد كان الناسك يقول لنفسه : « ها أنذا الآن أنبذ الجسد الذى عاشرته زمانا طويلا .. الجسد الذى كان موضع حب واعزاز أبى وأمى عندما كنت رضيعا ، الجسد الذى توصلت عن طريقه الى أسرار علم

اليوجا . لقد بكى اذ دار هذا الخاطر فى ذهنه .. وذلك لأنه من العسير على المرء أن يمحو من قلبه حبه لجسده !.. لكنه لم يلبث أن رقص طربا حين حدث نفسه : ((اننى لن ألبث أن أنتقل الى جسد جديد ، لشاب فى مقتبل العمر . ومن ثم سيمتد بى الأجل بحيث أستطيع أن أحقق نجاحا أكبر فى علم ((اليوجا)) . فمن من الناس لايتوق الى الشباب ؟))

وما أن سمع الشيطان جواب الملك ، حتى اختفى – مرة أخرى – من فوق كتفيه ، عائدا الى شجرة (السيستو) . فهرع الملك خلفه ، عازما على بذل جهد أكبر ، ليتحقق له الفوز !.. لأنه الى نهاية الدهر ستظل الغلبة للمثابرين على أكثر الجبال منعة وأوعرها مسلكا !

وقبض الملك على الشيطان وأنزله من الشجرة ، ثم حمله فوق كتفه !.. وفى أثناء الطريق قال له الشيطان: ((أيها الملك . أتراك لم تتعب بعد من الغدو والرواح؟ أما أنا فقد نال منى التعب . لذلك أنصت الى لأفضى اليك باللغز الاعظم :

اللغز الأعظم

« **حدث** منذ زمن بعيد أن كان أحد السلاطين يحكم ولاية صغيرة تقع فى الجنوب من الهند ، وقد اتصف بالعدل ، والتدين ، والكرم ، مما جعله موضع حب رعاياه !! فكانوا — من كبيرهم الى صغيرهم — لا يترددون فى افتدائه بحياتهم .. بيد أن أقاربه كانوا يحسدونه على حب رعاياه ، ويستكثرون عليه ما كان يتمتع به من جاه وسطوة . وكان لذلك السلطان زوجة بلغت من الفتنة والجمال حدا كان الناس معه يتوجونها — فى أذهانهم — ملكة على كافة الحسان والفاتنات !.. وقد أنجبت له زوجته هذه ابنة ورثت عنها سحرها ، فما رآها أبوها حتى سماها « جميلة » .

غير أن مكائد أقارب السلطان ودسائسهم لم تلبث أن آتت ثمارها ، **فنجحت المؤامرة التى دبروها فى خلعه عن العرش، وتقسيم السلطنة فيما بينهم . الا ان الملك تمكن من الفرار مع زوجته وابنته ، تحت جنح الظلام ، حاملا معه كنزا من الجواهر التى أمكنه انقاذها . وولى وجهه مع أسرته شطر ولاية (مالافا) حيث يعيش والد زوجته .**

وكان الليل قد أرخى سدوله حين بلغ السلطان حدود الأحراش الكثيفة التى تكسو جبال (فندهيا) . وهناك استسلم للبكاء والنشيج حزنا وأسى ، واستنكارا لغدر الزمان وتقلبات الدهر . وكانت الشمس قد هبطت فى هوة الغروب وهى تبعث اليه باشارات التحذير من اجتياز الغابة — المكتظة باللصوص وقطاع الطرق — تحت جنح الليل . بيد

أن الملك الجسور ، الذى لا يرهب خطرا ، والذى صيفت روحه من أوراق شجر (الكوسا) الحادة الاطراف ، لم يعر تحذيرها اهتماما ، وانما حث الخطى - مع أسرته - حتى وصل الى وكر قبيلة « بهيل » التى احترف أفرادها سلب أمتعة المسافرين والاعتداء على حياتهم .

ولمح أفراد العصابة الملك يقترب من وكرهم ، مرتديا زيه الملكى ، حاملا مجوهراته ، **فهب عدد منهم الى سيوفهم وكافة أنواع أسلحتهم ، ليهجموا عليه ويستولوا على ثروته .** ولمحهم السلطان بدوره ، فطلب من زوجته وابنته أن تختفيا بين أغصان الاشجار المتشابكة ، حتى لا تقع أيدى أولئك المتوحشين عليهما ، فاستجابت الملكة لطلب زوجها ، وهرعت مع ابنتها - فى فزع وجزع عظيمين - لتختفيا بين الاحراش الكثيفة .

ووقف السلطان بمفرده ، شاهرا سيفه ودرعه ليلاقى بهما جيش المعتدين الذين هجموا عليه بعنف ، حتى اذا بلغوا مرمى سهامه عاجلهم بوابل منها فأسقط منهم الكثيرين مجندلين ، بيد أنهم لم يلبثوا أن تكاثروا عليه ، فأطاحوا بدرعه وسيفه ، ثم حزوا رقبته بسيوفهم . **وروعت الملكة عند ما شاهدت الصورة التى لاقى بها زوجها حتفه غيلة وغدرا ، غير أنها لم تجرؤ على اتيان أية حركة ، حتى انصرفت «قوات الظلام» حاملة معها مجوهراتهم .** فخرجت عندئذ من مخبئها ، واقتربت من زوجها الراقد على الارض غارقا فى دمائه ، يراودها الامل فى أن تكون ثمة أنفاس لا تزال تتردد فى صدره . ولكنها تبينت أنه فارق الحياة ، فجلست بجواره

تندبه وتبكيه . بيد أن هاجسا لم يلبث أن ألم بها ، فخشيت أن يعود اللصوص مرة أخرى ، وهاجمها الخوف والفزع . ومن ثم سحبت ابنتها من يدها ، وراحت تركض بها ، فلم تتوقف حتى بلغت غابة أخرى نائية .

وعند الظهيرة ، جلست مع ابنتها فى ظل الاشجار تلتقطان أنفاسهما . وهناك استسلمتا لاشجانهما ، وذرفتا الدموع الساخنة من فرط اللوعة والاسى .

***

« وفى تلك الاثناء ، خرج نبيل يدعى « كاندراسيمها » مع ابنه « سيمها باركراما » ، على صهوة جواديهما للصيد ـ وكانا يقطنان فى تلك الغابة ـ فوقع بصرهما على صفين من آثار أقدام واضحة على الرمال . وعندئذ قال النبيل لابنه : « **لنتبع آثار هذه الاقدام التى تنم عن جمال صاحبتيها ، فاذا لحقنا بهما ، لك أن تختار منهما التى تروق فى عينيك لتكون زوجة لك !** » ، فأجابه الابن قائلا : « لا حاجة بى لأن أنتظر رؤيتهما ، لكى أدرك أن القدمين الصغيرتين تمتان لفتاة فى مقتبل العمر ، وهى التى ستغدو خير زوجـة لى . أما الاخرى ذات القدمين الكبيرتين ، فأغلب الظن أنها فى منتصف العمر ، ومن ثم فهى تناسبك أكثر ! »

فاستنكر الاب كلام ابنه وقال له : « ما هذا الهراء الذى تتفوه به . ان جسد أمك لم يبرد بعد ، وروحها لم تنطلق الى السماء الا منذ قليل . فكيف أفكر فى الزواج من امرأة أخرى ، وقد فقدت ـ لتوى ـ زوجتى المثالية ؟ » . . الآن

الابن لم يقتنع بمنطق أبيه وراح يجادله قائلا : « لاتقل هذا يا أبى . ان زواجك من امرأة أخرى لايعنى أنك خنت عهد أمى ، فأنت فى حاجة الى الزواج أكثر منى .. **لان منزل الرجل يظل شاغرا لا روح فيه اذا خلا من زوجة . ألم تبلغك حكمة ((مولاديفا)) الذى قال ان البيت لا يعد بيتا بالنسبة لصاحبه اذا خلا من زوجة فاتنة ، وانما هو أقرب الى سجن جرد من وسائل الحراسة ، لا يؤمه الا الحمقى ! .. فلتحل بى لعنة الموت اذا لم تأخذ المرأة الثانية زوجة لك !))**

وأخيرا اقتنع الاب بمنطق ابنه ، وراح الاثنان يتبعان آثار الاقدام ، حتى وقع بصرهما ـ أخيرا ـ على الملكة « كاندرافانى » وابنتها جالستين تحت الشجرة بالقرب من البحيرة . ولاحت لهما الام ببشرتها السمراء وعقود اللؤلؤ التى تزين جيدها الفاتن ، أشبه بالسماء الصافية الاديم ، عند منتصف الليل ، وقد أضاءت صفحتها أشعة القمر وقت اكتماله . أما الابنة فكانت هى القمر بذاته !

ولمحت الملكة وابنتها الفارسين اللذين كانا يتقدمان نحوهما ، فحسبتاهما لصين ، فنهضتا على أقدامهما مرتجفتى الاوصال .
الا أن النبيل راح يهدىء من روعهما قائلا : **((لاتخافا ، أيتها السيدتان الفاضلتان ، فاننا لسنا من قطاع الطرق ، وليس لنا مأرب فى نفائسكما .. ان بوسعى أن أحكم من لباسكما الانيق والجواهر الكريمة التى تتحليان بها ، انكما من كرائم العائلات وقد خرجتما للصيد فى الغابة))** .

بيد أن المرأتين ظلتا مترددتين ، غير مطمئنتين ، فترجل الابن « كاندراسيمها » عن جواده ، وخاطب الام قائلا :

« ليس ما يدعو للخوف ياسيدتى . فقد اقتفينا أثركما تحدونا أطيب النوايا وأنبل الاغراض . تمالكى نفسك وأخبرينى من تكونين ؟.. أتراك ربة العشق خرجت الى الغابة لتنوح على حبيبها « اله الحب » الذى أحرقته عين الاله « سيفا » الثالثة (١) ؟ .. لماذا توغلتما فى الغابة الموحشة حتى بلغتما هذا المكان ؟ .. ان أناقة ثيابكما تجعلكما خليقتين بأن تكونا زينة أفخم المخادع فى أعظم القصور الملكية ! .. اننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من التساؤل عن السبب الذى حدا بكما الى السير بأقدامكما الرقيقة المرفهة — والتى تعتز بامتلاكها سليلات المجد وكرائم السيدات — فوق أرض الغابة المليئة بالاشواك ! وليس لى أن أسأل كيف عجزت ذرات التراب الذى تذروه الريح عن تشويه قسمات وجهيكما ، **وكيف حدث أن هذه الشمس المحرقة التى صبغت بشرتنا ، لم يكن لها من تأثير على بشرتكما أكثر من تأثير دغدغة النسيم العليل وهو يداعب جسديكما اللذين يحكيان الازهار رقة ونعومة !** ولكننى مشتاق يا سيدتى لان أعرف ما هو الامر الجلل الذى دفعكما لان تخرجا الى هذه الغابة المكتظة بالوحوش الضارية!»

وظلت الملكة تستمع فى أناة الى حديثه المنمق المهذب ، ولم تلبث أن تغلبت على حيائها ، فقصت عليه ما حدث لهما بالتفصيل . وقد روع النبيل حين علم أن الملكة وابنتها اضطرتا الى الفرار بغير حراسة . وراح يحاول أن يبث

---

(١) تحكى الأساطير الهندية ان الاله سيفا — اله الانتقام — كان يملك عينا ثالثة ، وقد أصيب بسهم أطلقه عليه اله الحب ، أثناء تقديم ذبائحه على جبل « كايلاسا » ، فانتقم لنفسه بأن صوب نحوه شعاعا ناريا من عينه الثالثة ، فقضى عليه !

الطمأنينة فى نفسيهما بعبارات تفيض حنوا وعطفا . ثم أركب الام أمامه فوق جواده والابنة أمام ابنه ، وساروا جميعا الى الضيعة التى يملكها النبيل فى قرية (فيتابابورى) .

وهناك اكتشف النبيل ان الابنة هى صاحبة القدمين الكبيرتين ، فاتخذها زوجة لنفسه ، أما الأم فغدت من نصيب الابن اذ كانت هى صاحبة القدمين الصغيرتين . ذلك لأنهما لم يشاءا أن ينقضا الاتفاق الذى عقداه فى الغابة حين كانا يقتفيان آثار أقدام المرأتين ، لأن الوفاء بالوعد من شيم الكرام . **وقد نجم عن الخطأ الذى وقعا فيه أن صارت الأم زوجة ابن زوج ابنتها ، والابنة زوجة ابن الزوج** ! وبمرور السنين أنجبت كل من الأم وابنتها أولادا وبناتا ، ورزق هؤلاء بدورهم بأولاد وبنات ! »

***

وكانت تلك هى عقدة اللغز الأعظم ، فسأل الشيطان الملك « تريفيكراماسينا » قائلا : « أخبرنى أيها الملك ، ماهى القرابة بين أبناء الأب والابنة وأبناء الأم والابن ؟.. ستحل بك اللعنة اذا كنت تعرف الجواب وتتوانى فى الافصاح عنه ! »

وراح الملك يقدح زناد فكره ليصل الى الحل الصحيح ، لكنه أخفق فى الوصول اليه . فلما أدرك انه قد غلب على أمره لزم الصمت . وعندئذ ابتسم الشيطان المتقمص جثة الميت التى حملها الملك فوق كتفيه ، قائلا فى نفسه : « لقد عجز الملك — فى هذه المرة — عن حل اللغز ، ومن ثم أمن شر لعنتى ، فسار فى طريقه جذلا طروبا . ان قلبى لايطاوعنى على التمادى

فى خداع هذا الرجل الطيب ، ذى القلب النبيل . **ولكن ماذا أملك أن أفعل ، وذلك الراهب اللئيم لن يتردد فى الاقدام على أية فعلة خسيسة للاقتصاص منه ؟** ينبغى أن يتفتق ذهنى عن خطة ماكرة لخداع ذلك المتسول الشرير ، محولا دفة النصر الى هذا الملك النقى السريرة ! »

ثم قال الشيطان للملك بصوت مرتفع : « يا صاحب الجلالة . اننى أرى انك تكاد تسقط من فرط الاعياء والخور ، بعد كل هذا الغدو والرواح فى أرض المحرقة هذه ، الرهيبة المنظر فى ظلام الليل . الا أن روحك تتوق الى السلام ، فى غير تردد ولا تخاذل . ولما كنت معجبا بمثابرتك وصبرك النادرين ، فقد قررت أن أعفيك من حمل هذه الجثة ، على أن تنصت جيدا الى ما سأقوله لك وأن تنفذه حرفيا . **ان ذلك المتسول – الذى طلب منك أن تحضر له الجثة – انما هو أحد أتباعى ، وقد غضبت عليه لارتكابه الشرور والآثام ، وهو يحاول منذ مدة طويلة أن يفوز بعفوى ، بتقديم الذبائح والقرابين لى . لذلك أحسبه قد اختارك لتكون ذبيحته التالية التى يتوسل بها لكسب رضائى .** انه سيطلب منك أن تستلقى على ظهرك ، بحيث تلمس أطرافك الأرض ، فاذا فعل ذلك أطلب اليه أن يريك الطريقة . وعندئذ اهجم عليه واقطع رقبته بسيفك . وبهذا تفوز – دونه – بالمأرب الذى يسعى اليه : وهو الجلوس على عرش مملكة الجن ، والا فانه سيضحى بك . هذا هو السبب الذى أغرانى على مطاردتك بقصصى والغازى طوال الوقت ! »

وعلى الفور انسل الشيطان من الجثة . **وسار الملك بحمله**



« أتراها الالهة البيضاء قد تسلحت بكل فتنتها لتسلطها على الاله « سيفا » ، كي تستعيد حبه بعد أن ملاها وهجرها ؟.. »

ص (٦٧)

يمعن التفكير فى عجائب الدنيـا ، وكيف أن المتسـول ((كشانتيلا)) قد ظهر على حقيقته ، فاذا هو راهب شرير .
بيد أن الملك كان من أولئك الذين يسلمون أمورهم للقدر يتصرف فيها كيفما شاء ، ومن ثم عادت السكينة الى نفسه ، وواصل سيره نحو شجرة (الفاتا) ، حيث وجد الراهب يربض فى انتظاره . وهنالك رآه يحملق فى أرض المحرقة التى ألقى عليها الضوء الخافت المنبعث من الهلال الهزيل منظرا رهيبا مفزعا . ولمح الملك على الأرض المغطاة بالدماء دائرة سحرية رسمها الراهب بمسحوق العظام الأبيض ، وقد أضاء الدائرة نور يعشى الأبصار ، ساطع من مصابيح موقدة بالشحم البشرى . لقد أعد ذلك الشيطان المذبح ، ولم يبق سوى الضحية ذاتها !

ورفع المتسول عينيه ، واذ رأى الملك قادما يحمل الجثة ، هب واقفا على قدميه ، وقد أشرق وجهه بابتسامة كالحة ، فما وصل الملك اليه حتى بدأ يكيل له المديح والثناء ، متغنيا بمآثره وعظمته ، قائلا : ((**آه أيها المهراجا العظيم . لقد غمرتنى بفضل لن أنساه لك مدى الحياة ، وقمت لأجلى بخدمة تعد فى حكم المستحيل . اذ لا يوجد ما يقسرك على مغادرة قصرك الآمن وفراشك الوثير ، فى هذه الساعة من الليل ، بينما الأمر لا ينطوى على أية فائدة لك .** ولا عجب الآن فى أنهم يعدونك أعظم الملوك قاطبة ، لانك تتصف بالامانة فى معاملتك ، وبالمحافظة على كلمتك . وقد ثبت ذلك فى أجلى صورة ، اذ أديت عمل غيرك غير مبال بما تتعرض له حياتك من خطر . وهذا بذاته هو الذى سماه القدماء — منذ قديم الأزل — عظمة العظمة !))

وقد حسب الراهب أن أمانيه على وشك أن تتحقق ،

فأنزل الجثة عن كتف الملك ، وغسلها ودهنها بالطيب والمسك ، ثم زينها بالورود والرياحين ، ووضعها داخل الدائرة السحرية التى رسمها !.. ووقف برهة يحملق فيهـا وهو مستغرق فى تفكير عميق ، ثم أدى بعد ذلك طقوس عبادته ، وقدم بعض الذبائح التى تتألف من جمجمة طفل رضيع ، وباقة من الزهور ، وقدر من المعاجين المعطرة ، ثم أطلق البخور بأن أحرق عينين آدميتين وشريحة من اللحم البشرى !.. حتى اذا انتهى من هذه الطقوس التفت الى الملك قائلا : « **ياصاحب الجلالة . تمدد على ظهرك فوق الأرض أمام الساحر العظيم الماثل أمامك . وسأحقق لك أية رغبة مهما كانت عسيرة التحقيق !** »

وأعادت تلك الكلمات الى ذهن الملك تحذير الشيطان ، فأجابه قائلا : « لست أعرف كيف أفعل ذلك ياسيدى المبجل ، فأرنى أولا وسأفعل مثلك ! » .. فاستلقى المتسول على ظهره ليريه الوضع المطلوب ، وعندئذ بادره الملك بضربة من سيفه أطاحت برأسه ، ثم شق صدره وانتزع منه القلب ، الذى كان يشبه زهرة اللوتس المتفتحة .

واذ ذاك احتشدت آلاف الاشباح فى السماء تهلل وتهتف — فى حماس — بحياة الملك البطل . وظهر الشيطان للملك مرة أخرى وخاطبه قائلا : « لقد أصبحت مملكة الجن تحت امرتك حين تنتهى أيام حكمك على الأرض . وهو الشىء الذى كان المتسول يتحرق شوقا الى الحصول عليه !.. وهذه مكافأتك على طول صبرك واحتمالك ! »

فأجابه الملك قائلا : « ان أعظم مكافأة لى أن أراك مغتبطا راضيا . الا أن ثمة رغبة واحدة أرجو أن تحققها لى : **وهى أن يتاح لتلك الألغاز الرائعة التى سردتها لى — ولاسيما اللغز**

الأخير الذى عجزت عن حله ـ أن تتناقلها الالسنة من جيل الى جيل ! » ، فقال الشيطان : « لابأس ، لسوف أجيب رغبتك ، فأجعل هذه القصص خالدة على مدى الزمن ، وسأعمل على أن يكسب كل من يقرأ هذه القصص بتمعن وانتباه مناعة ضد الشياطين والفيلان والساحرات والمردة والخائنات من النساء ! » .. قال الشيطان ذلك ثم اختفى بقوة السحر . وعندئذ ظهر الاله « سيفا » ـ محوطا بباقة من الآلهة ـ وقال للملك « تريفيكراماسينا » : « طوباك من بين بنى البشر !.. أنت يا من قتلت ذلك الراهب المزيف الذى كان يطمع فى السيطرة على عالم الجن . فمنذ البدء خلقتك ـ من قطعة منى ـ وأنا أعلم أنك ستقهر قوى الشر الكامنة فى بعض البرابرة . **لذلك حبوتك بصفات الشجاعة والقوة والامانة . وستكون انت الحاكم على كل ممالك الارض فضلا عن مملكة الجن . وستنعم بكل الملذات الدنيوية والسماوية . ولكن نفسك لن تلبث أن تعاف كل هذه الملذات ، فتنبذها باختيارك . وفى النهاية ستتحد معى بواسطة هذا السيف الذى سيكون وسيلتك الى تحقيق كل أهدافك ! »**

وقد دارت كل هذه الأحداث قبل أن ينصرم الليل ، فعاد الملك ـ قبيل الفجر ـ الى دولته (براتيشتانا) حيث قابله الاهالى باحتفال عظيم . ولم ينتظر الملك ليغتسل من وعثاء الطريق ، بل سارع الى توزيع الصدقات ، ثم قدم فروض العبادة للالهة « ابنة الجبل » ، وقضى بعض الوقت يستمتع بالغناء والموسيقى والرقص .

ولم تمض سنوات حتى كان حكم الملك « تريفيكراماسينا » قد امتد الى كل ممالك الأرض ، بفضل سيف الاله «سيفا»

السحرى ، وشجاعة الملك النادرة . وتحقق وعد الاله الاعظم له ، فظل فترة طويلة ينعم بملذات عالم الأرواح .. الى أن اتحد مع الاله !!

الحب والمال

حدث منذ زمان طويل أن كانت تعيش فى مدينة (ماتهورا) — مسقط رأس الاله «كريشنا» — غانية لعوب تدعى «فاتنة». وكانت أمها التى تعمل وسيطة لها فى جلب العملاء تسمى « تمساحة » . **وعلى قدر ما كانت « فاتنة » صارخة الفتنة حقا ، كانت الأم بمثابة القذى فى أعين شبان المدينة العاشقين لابنتها !**

وذات يوم ، كانت فاتنة تتجه صوب ساحة المعبد ، حين لمحت — من بعيد — شابا طويل القامة ، مفتول الذراعين ، متناسق القسمات . **فراح قلبها يخفق بعنف ، وطارت من رأسها كل الدروس التى تلقتها عن أمها فى فن الغواية والاغراء!** وفى الحال قالت لخادمتها : « اذهبى بهذه الرسالة الى الرجل الواقف هنـــاك ، واطلبى منـــه أن يحضر الى منزلى على الفور ! »

وقرأ الشاب الرسالة ثم التفت الى الخادمة قائلا : « اننى برهمى فقير ، واسمى « اوهاجانجا » . وأنا لا أملك شروى نقير ، فمن أكون حتى تلج قدماى دار فاتنة التى لا تفتح بابها الا لأغنياء القوم ؟ » ، فأجابته الخادمة قائلة : « ان سيدتى لن تطلب منك مالا ! » ، وعندئذ وافق الشاب قائلا : « قولى لسيدتك اننى سأحضر فى المساء ! »

فما علمت « فاتنة » بموافقة الشاب حتى كادت تطير من

الفرح ، وهرعت الى منزلها وقد امتلأ قلبها بالسعادة ، **وهناك راحت تذرع غرفتها جيئة وذهابا ، وهى لا تكل من النظر الى الشارع ، بين هنيهة وأخرى** . وأخيرا حضر الشاب « لوهاجانجا » ، فما أن رأته « تمساحة » — أم الفتاة — حتى راحت تسائل نفسها من يكون ومن أين أتى !.. أما فاتنة فقد استقبلته إستقبالا حارا ، ينم عن مدى عشقها اياه ورغبتها فيه .. وقد ألقت ذراعيها حول عنقه وضمته اليها بعنف ، ثم أخذته الى مخدعها !.. وعاش الشاب فى منزل الغانية وأمها ، لايغادره الا للضرورة القصوى ، بينما فقدت « فاتنة » اهتمامها بغيره من الرجال !

واذ أدركت الأم أن ابنتها قد وقعت صريعة العشق والهوى تولاها حزن فظيع ، وهى لاتفتأ تسأل نفسها كيف وقعت ابنتها فى هذا الخطأ الفاحش ، وهى التى لقنتها ولقنت غانيات الحى فنون الفتنة والغواية . وانتهزت — ذات يوم — فرصة اختلائها بابنتها وقالت لها : « ماذا دهاك يا ابنتى ؟.. كيف تقبلين أن تعاشرى مثل هذا الشخص المفلس ؟.. ان البغى « الفاضلة » تؤثر احتضان جثة ميت على معاشرة رجل فقير ! فما شأن الغانية بالحب ؟.. **هل نسيت المبدأ الأول : ان البغى العاشقة تشبه ضوء الشفق ، فكلاهما الى زوال سريع** ؟ خليق بك أن تفعلى كما تفعل الممثلة اذ تتظاهر بالحب لتفوز بالمال !.. اطردى ذلك التعس والا حطمت حياتك ! »

لكن « فاتنة » أجابتها فى غضب : « لا تتحدثى هكذا . **اننى أحبه أكثر من حياتى . ثم أن لدى من المال مايكفينى ، فما حاجتى الى مزيد منه** ؟.. اياك أن تتحدثى الى هكذا مرة أخرى يا أماه ! » ، فاشتد القنوط بالمرأة ، وراحت تنقب فى ذهنها عن طريقة تتخلص بها من « اوهاجانجا » .

وقد واتتها الفرصة لذلك حين لمحت – ذات يوم – فى الطريق ، أحد الفرسان الذين كانوا يجوبون البلاد للنهب والسلب ، وقد بدأ عليه الافلاس ، ومعه كوكبة من زملائه ، فركضت اليـه وانتحت به فى مكان منعزل ، وقالت له : « أغثنى ياسيدى . لقد احتل عاشق مفلس منزلى ، رافضا الجلاء . فاذا ما استطعت – بأية وسيلة – أن تطرده من المنزل ، أعدك بنصيب من المسرات مع ابنتى ! »

فوافق الفارس على الصفقة فى الحال ودخل منزلها . وقد صادف أن كانت « فاتنة » فى الخارج اذ ذهبت الى المعبد ، فى حين خرج « لوهاجانجا » ليقضى بعض حوائجه . فلمـا عاد هذا الى المنزل ، مطمئن البال ، لا تخالجه بادرة من الشك فيما دبرته له المرأة الشريرة ، انقضت عليه عصابة الفارس من كل جانب ، وانهال عليه رجالها ضربا وركلا ، حتى سال الدم من كل جسده ، وأخيرا ألقوا به فى وعاء للقمامة . بيد أنه تمكن – بطريقـة مـا – من الفـرار . حتى اذا عادت « فاتنة » وعرفت ماحدث استولى على قلبها حزن مطبق . فلما رأى الفارس من قسماتها مدى حزنها على عشيقها ، فضل أن ينصرف لحال سبيله .

وانطلق « لوهاجانجا » يهيم فى أرجـاء الأرض على غير هدى ، ضاربا فى مجاهل البـلاد ، **وقد احترق قلبه – بفعل الغضب المكظوم بسبب ما أصابه من اهانة – واحترق جسده بفعل حرارة شمس الصيف** ، فالتمس لنفسه مكانا يستظل فيه ، ولم تكن ثمة أشجار ، بيـد أنه لم يلبث أن عثر على فيل ميت ، كانت الذئاب قد التهمت لحمه ولم تترك منـه سوى الجلد . فانسل « لوهاجانجا » داخل جلد الفيل الذى جعله ما تسرب فيه من هواء عليل باردا ، رطبا . ولم يلبث

أن استغرق فى النعاس من فرط التعب والارهاق .

وفجأة هب أعصار عنيف ، وتوافدت السحب من كل جانب ، وسقطت الأمطار غزيرة ، فانسابت المياه فى الجلد فانتفخ . وحملته السيول الى نهر ((الجانجز)) الذى حمله بدوره ثم القى به فى المحيط . ولم يلبث طائر ضخم من فصيلة ((الجارودا)) أن حلق فوق المياه ، فوقع بصره على الهيكل الطافى فظنه رمة ميت . ومن ثم انقض عليه وحمله بين مخالبه الى شاطىء بعيد . وهناك شق الطائر بمنقاره جلد الفيل ، فيما أبصر الرجل الراقد بداخله ، حتى انتابه الفزع وطار بعيدا .

وبعد فترة أستيقظ ((لوهاجانجا)) من نومه ، فاستولت عليه دهشة لامزيد عليها اذ وجد نفسه فى ذلك المكان النائى ، وقد خيل اليه أنه فى حلم . لكن الدهشة مالبثت أن تحولت الى رعب قاتل حين شاهد غولين ضخمين ينتصبان أمامه . بيد أن الغولين لم يكونا اقل منه خوفا وفزعا ، اذ تذكرا الهزيمة التى منيا بها على يدى البطل ((راما)) . فلما رأيا ذاك الآدمى ، وقفا يحملقان فيه دون أن يحركا ساكنا .

وبعد مداولة قصيرة بينهما ، ذهب أحدهما الى الملك ((فيبهيشانا)) ليتذره بقدوم الآدمى الغريب ، فاضطرب الملك ايما اضطراب ، وقد شاهد بنفسه من قبل جبروت ((راما)) . وقال للغول : ((اذهب الى ذلك الآدمى ، واطلب اليه — فى أدب — أن يشرف منزلى بزيارته !)) ، فأجابه الغول : ((سمعا وطاعة !)) ، ثم ذهب ليؤدى الرسالة التى كلف بها ، وهو يرتجف خوفا وفرقا .

وقبل البرهمى دعوة الملك بارتياح . فقاده الغول الى القصر الملكى فى مدينة (لانكا) عاصمة ملكه . وفى الطريق

الى القصر ، راح « لوهاجانجا » يردد الطرف فى أنحاء المدينة ، فأذهلته كثرة القصور المشيدة بالذهب الخالص التى تزخر بهـا . واستقبله الملك بالترحيب اللازم ، وتحدث الى ضيفه باحترام وتبجيل ، قائلا : « كيف أستطعت – أيها البرهمى – الوصول الى هذه البلاد ؟ » ، فأجابه الرجل الماكر : « أننى من مدينـة « ماتهورا » ، واسمى « لوهاجانجا » . وقد كنت أعانى فقرا مدقعا ، فذهبت الى أحد المعابد حيث جثوت أمام الاله « فيشنو »، وصمت عن الطعام فترة طويلة .. **فاستجاب الاله المبارك لدعـواتى ، وظهر لى فى الحـلم قائلا : « اذهب الى « فيبهيشانا » . . فهو من عبيدى المخلصين ، وهو الذى سيجعلك ثريا »** . فقلت له : « لكن « فيبهيشانا » يقطن بلدا بعيدا ، وليس من وسيلة لبلوغه ! » . بيد أن الاله عاد يقول لى : « إذهب اليه ولسوف تقابله اليوم ! ». وعندذاك استيقظت من نومى ، فاذا بى أجد نفسى راقدا على الشاطىء . هذا كل ما أعرفه ! »

واستمع « فيبهيشانا » لكلمات « لوهاجانجا » وهو يتذكر قوة « لانكا » ، فأيقن أن هذا الرجل يتمتع بقوة سماوية خارقة ، وأجابه قائلا : « **امكث هنا ، وسأغرقك بالخيرات !** » .. ومن ثم أودع البرهمى فى رعاية الفول – آكل لحم البشر – بعد أن أوصاه به خيرا ، ثم أوفد الفول الآخر الى جبل (سفارنامونا) ، ليحضر طيرا حديث الفقس من فصيلة « الجارودا » .. ثم سلم الطائر للآدمى ليتدرب على امتطائه ، قبل أن يتأهب للعودة الى (ماتهورا) .

وما أن أبدى « لوهاجانجا » رغبته فى الرحيل ، حتى

قدم اليه الملك عددا وفيرا من الجواهر النفيسة التى لا تقدر بمال ، وأعطاه زهرة (لوتس) ، وصدفة بحرية ، وقرصا من الذهب الخالص ، وصولجانا ، ليحمل ذلك كله كتقدمات تعبر عن اخلاصه وخضوعه للاله «فيشنو» الذى اتخذ من مدينة (ماتهورا) مقرا له .

وحمل « لوهاجانجا » الهدايا ، ثم امتطى ظهر الطائر الذى وهبه الملك اياه كهدية وداع ، والذى كان قادرا على التحليق مسافة ألف فرسخ . . وبدأ رحلته من لانكا ، ثم عبر المحيط ، وما لبث أن بلغ (ماتهورا) ، دون أن يصادفه مايعوق رحلته . وهبط بالقرب من دير مهجور ، خارج المدينة ، حيث خبأ الكنز ، وربط الطائر ! .. ثم اتجه الى السوق فباع احدى الجواهر ، وابتاع بثمنها ثيابا وزيوتا وطعاما . ثم تناول الطعام فى أحد الاروقة ، وتسربل بالثياب الفاخرة ، وتعطر بالزيوت ، وتزين بالازهار .

حتى اذا أرخى الليل سدوله ، أمتطى الطائر مرة أخرى حاملا معه القرص والصولجان والصدفة البحرية ، وطار نحو منزل فاتنة . وهناك راح يحلق فى الهواء ، ثم أطلق صفيرا خافتا لينبه عشيقته . فما سمعت الغانية الصفير حتى هرعت الى السطح .. واذا بها ترى رجلا على هيئة «فيشنو» يحلق فى السماء ، حاملا جواهر تلتمع وتبرق ، ويقول لها : « اننى فيشنو !.. وقد جئت أطلبك ! » .. فوقعت على وجهها أمامه ، وهتفت قائلة : «رحماك يامولاى .. رحماك ! » .. وعندئذ هبط «لوهاجانجا» على السطح ، وربط الطائر ، ثم ذهب مع عشيقته الى مخدعها .. وبعد أن تذوق – بين أحضانها – ملذات الحب والغرام ، خرج وامتطى ظهر الطائر وحلق به فى الفضاء .

وفى اليوم التالى ، أبت فاتنة أن تتحدث الى أحد ، وهى تقول فى نفسها : **((لقد اختارنى ((فيشنو)) زوجة له . ومن ثم لن أتحدث الى أحد من البشر الفانين))** .. وقالت لها أمها : ((ماخطبك ياابنتى ؟ .. أخبرينى!)) .. لكن ((فاتنة)) أسدلت ستارا بينها وبين أمها .. فلما الحت عليها فى السؤال، قصت عليها أمر الشرف الرفيع الذى أسبغه عليها الاله العظيم .. وفى بادىء الامر ، خالجت الريبة الام فى صحة القصة ، ولكنها مالبثت أن لمحت — فى الليلة ذاتها — شبح((لوهاجانجا)) فوق طائره ، فلم يسعها الا التصديق .

وفى اليوم التالى انحنت ((تمساحة)) أمام ابنتها من خلف الستار ، وأخذت تناشدها قائلة : **((حقا انك قد بلغت منزلة الآلهة يا ابنتى . لكننا لانزال فوق الارض ، وأنا أمك التى ولدتك .. فكونى ابنة بارة وامنحينى الجزاء الذى أستحقه ، اطلبى الى الاله أن يجعلنى — أنا المرأة العجوز — أدخل الفردوس بجسدى الذى أحمله .. كونى رحيمة بى!))**. فأجابتها فاتنة : ((سأفعل !)) .. وبالفعل نقلت أمنية أمها الى ((لوهاجانجا)) ، حين جاء اليها تلك الليلة ، متنكرا فى هيئة الاله فيشنو ! ..

ولعب ((لوهاجانجا)) دوره بمهارة ، فأجاب عشيقته قائلا : ((ان أمك امرأة شريرة ، وهى — بالتأكيد — غير جديرة بدخول الفردوس . ومع ذلك ، ففى فجر اليوم الحادى عشر ، ستفتح أبواب الفردوس ، ليلج اليه أولا أولئك الذين حظوا برضاء ((سيفا)) . ولن تستطيع أمك بأية حال من الاحوال الدخول الا اذا تنكرت باتقان . **لذلك عليك بحلاقة شعر رأسها بالموسى ، حتى لا تبقى فيها على شعرة واحدة فيما عدا خمس خصلات متفرقة ، ثم أحيطى عنقها**

بقلادة من الجماجم البشرية ، واطلى أحد جانبى وجهها بالقار الاسود ، والجانب الآخر باللون الاحمر الفاقع ، ثم جرديها من ملابسها . فاذا ما تنكرت بهذا الشكل حسبها حارس الجنة احدى اللواتى نلن الحظوة .. وهكذا أستطيع أن أدخلها الفردوس دون أن يكتشف أحد أمرها !! »

وبعد أن ألقى اليها « لوهاجانجا » بتعليماته ، مكث معها بعض الوقت ثم انصرف . وفى الصباح نفذت فاتنة التعليمات حرفيا ، وظلت العجوز الداعرة تنتظر بشوق لذات النعيم!.. وفى منتصف الليل ظهر «لوهاجانجا» ثانية ، فتركت فاتنة أمها فى رعايته .. فاصطحبها وهى عارية ، وامتطى معها الطائر ، وسرعان ماكان ينطلق بها فى عنان السماء . ولم يلبث أن لمح أمام أحد المعابد عامودا طويلا مصنوعا من الحجر ، وقد علت هامته اسطوانة دائرية . فأرسى المرأة فوق العمود ، وهنالك تركها معلقة فى الفضاء لا يحميها من السقوط سوى تلك الاسطوانة . **وظلت هناك كأنها بيرق يخفق فى الهواء معلنا عن انتقامه من تلك المرأة التى أهانته ايما اهانة !**

وقبل أن يتركها قال لها : « امكثى هنا ، ريثما أعود الى الارض لانعم على الناس بخيراتى ! » .. ثم اختفى عن أنظارها !

وأثناء ذلك تجمع أمام المعبد حشد من المصلين الذين وفدوا ليقضوا فيه ليلة العيد الكبير .. فخاطبهم «لوهاجانجا» من سمائه قائلا : **« أيها الناس . ستسقط عليكم اليوم من الاعالى أخبث الهة من آلهة الدمار .. انها الهة «الطاعون». فليكن لكم فى فيشنو ملاذا !»** .. فما سمع أهالى «ماتهورا» — المحتشدون أمام المعبد — هذا الصوت الصادر من السماء ، حتى انتابهم الذعر والفزع ، وهرعوا ملتمسين الحماية من

الاله ، متوسلين اليه فى صلواتهم أن ينقذهم . وفى تلك الاثناء هبط «لوهاجانجا» من السماء ، وخلع ثياب التنكر ، ثم اندمج فى الجماهير !!

وعلى قمة العامود جلست الحيزبون تخاطب نفسها قائلة: « ان الاله لن يعود اليوم ، ولن أدخل الفردوس الآن !» .. ثم نظرت الى أسفل من ذلك العلو الشاهق فانتابها الدوار ، وأحست بأنها ستسقط وشيكا ، فهتفت فى فزع قائلة : « انني سأسقط ! » .. فلما بلغت صرخاتها مسامع الناس ، رفعوا أنظارهم الى أعلا ، فرأوا تلك الشمطاء المشوهة ، فحسبوها الهة الطاعون التى أنذرهم بها الصوت الصادر من السماء ، وراحوا يتوسلون اليها قائلين : « كلا .. لا تسقطى .. لاتسقطى أيتها الالهة ! »

وظل أهالى «ماتهورا» ـ شيبا وشبابا ـ فى حالة لاتوصف من الخوف والفزع ، مترقبين سقوط الهة الطاعون فوقهم من لحظة لاخرى ! .. ولكنهم حين تبلج الصبح استطاعوا أن يميزوا المرأة العجوز ، بشكلها الذى يدعو الى السخرية .. فتبدد الخوف عنهم وانفجروا ضاحكين . وما أن سمعت «فاتنة» بما حدث حتى هرعت الى المعبد ، فلما تبينت أن المرأة التى تثير الهزء هى أمها استولى عليها خجل فظيع .. وقد عاونها بعض أهل الخير على انزالها من فوق العامود !

وفى فضول عظيم ، تجمهر الناس حولها ، طالبين من الحيزبون أن تحكى لهم ما حدث .. **فلما فعلت اعتقد الناس جميعا ـ بما فيهم الملك والبرهميون والتجار ـ أن هذه الخدعة من فعل ساحر** . ومن ثم صدر فى المدينة الاعلان التالى : « ليظهر الرجل الذى خدع تلك المرأة ،

التى ضحكت على ذقون عدد وافر من العشاق ، وسيتسلم على الفور عباءة الشرف ! »

فأظهر «لوهاجانجا» نفسه ، وقص على الجميع القصة بحذافيرها ، ثم قدم للاله فيشنو الهدايا التى أعطاه اياها الملك «فيبهيشانا» ، والتى كانت تتألف من الصدفةالبحرية، والصولجان ، وزهرة اللوتس ، والقرص الذهبى. وقد وقف الجميع مبهورى الانفاس يتأملونها فى دهشة عارمة . ثم بدأ القوم احتفالاتهم ، فدثروا «لوهاجانجا» برداء الشرف بناء على أمر الملك ، ثم أعطوه «فاتنة» زوجة له . وهكذا ظفر «لوهاجانجا» بالانتقام من المرأةالشريرة ، وقدم للآلهةنذوره، وفاز بعدد وفير من الجواهر النفيسة ، ثم عاش مع زوجته «فاتنة» ، يرتعان فى السعادة والهناء !

حكمــة ماهوداسا

خرجت امرأة ــ ذات يوم ــ حاملة طفلها الرضيع الى بركة ، تقع على مقربة من منزل الحكيم « ماهوداسا » ، لكى تستحم . حتى اذا فرغت من ذلك أرقدت الطفل على الضفة، ثم نزلت ــ بدورها ــ فى البركة لتغتسل . وفى تلك اللحظة لمحت الطفل غولة ، فراق فى عينيها وسال اللعاب من فمها، وتاقت نفسها الى التهامه . وقد استعانت بالسحر فجعلت نفسها فى هيئة امرأة فى منتصف العمر . وتقدمت الى الام قائلة : « انه لطفل جميل ياصديقتى . أهــو ابنــك ؟ » ، فأجابتها الام قائلة : «نعم» ، فسألتها : « أتراك تمانعين فى أن أرضعه ؟ » ، فأجابت الام قائلة : «كلا» .

وعندئذ حملت الغولة الطفل بين ذراعيها ، وراحت تهدهده في حنان ، حتى اذا اطمأنت الى أن الام منهمكة فى الاغتسال، أطلقت ساقيها للريح . ووصل صراخ الطفل – الذى أفزعته حركة الغولة المفاجئة – الى مسامع أمه ، فخرجت من البركة راكضة خلف الغولة ، حتى اذا لحقت بها انتزعت فلذة كبدها من بين ذراعيها ، سائلة اياها : « الى أين أنت ذاهبة بابنى ؟ » . وكانت دهشة الام عظيمة حين قالت لها الغولة : « انه ابنى أنا . فهل تريدين أن تغتصبيه منى ؟ »

وأصرت كل منهما على أنها أم الطفل . وبينما كانتا تتناقشان بصوت مرتفع ، مرتا ببوابة الحكيم «ماهوداسا»، فخرج هذا من منزله ليتبين جلية الامر . وسأل المرأتين قائلا : « لماذا تتشاجران ؟ » . فراحتا كلتاهما تدليان بقصتهما فى وقت واحد ، **بيد أن الحكيم لم يلبث أن اكتشف حقيقة الغولة من احمرار عينيها ، وثبات مقلتيها فى محجريهما .** فسألهما قائلا : « أتراكما ستخضعان لقضائى ؟ »، فأجابتاه : « نعم . سنخضع » .

ورسم الحكيم فوق الارض خطا بعصاه ووضع الطفل فوقه ، ثم طلب من الغولة أن تمسك بذراعيه ، ومن الام أن تمسك بساقيه ، وأن تجذبه كل منهما ناحيتها ، وتكون الفائزة هى الام الحقيقية !

وبدأت كل منهما تجذب الطفل نحوها بكل قوتها ، فندت عن الطفل صرخة حادة من فرط الالم ، وعندئذ أفلتته الام على الفور وكأنما انشطر قلبها الى نصفين ، ثم وقفت فى مكانها تبكى بحرقة .

فنظر الحكيم نحو جمع من الناس تجمهروا حولهم ،

وسألهم قائلا : « أى قلب هو الذى يتأثر لالم الطفل ؟ أهو قلب الام أم قلب امرأة غريبة ؟ »

فأجابوه : **« انه قلب الام ، أيها الحكيم »** .

فسألهم مرة ثانية : « أيهما الام ؟ أهى المرأة التى ظلت تجذبه دون أن تتأثر بألمه ، أم الاخرى التى أفلتته ؟ »

فأجابوا قائلين : « بل الام التى أفلتته ! »

فقال: «ألم تكتشفوا بعد حقيقة المرأة التى ظلت تجذبه؟»

فأجابوه : « كلا . أيها الحكيم ! »

فقال : **« انها غولة ، وقد خطفت الطفل لتلتهمه »** .

فسألوه : « وكيف عرفت ذلك أيها الحكيم ؟ »

فأجابهم : « من احتقان عينيها ومن ثبات مقلتيها . ومن اختفاء ظلها ، وقسوة قلبها ! »

ثم استدار الى الغولة يستجوبها قائلا : « من تكونين ؟ »

— انني غولة ياسيدى .

— ولماذا خطفت الطفل ؟

— لالتهمه ياسيدى .

— أيتها الحمقاء الرعناء . **لقد ولدت غولة بسبب الشر الذى ارتكبته فى حق الآلهة والبشر ، فى حياتك السابقة . وهاأنت تعودين الى اقتراف الشر . حقا انك لغبية حمقاء!**

وظل هكذا يوبخها ويقرعها ثم لم يصرفهـا من حضرته حتى أقسمت له على مراعاة المبادىء الخمسة . أما أم الطفل فقد راحت تسبح بحمده وتدعو له بطول البقاء ، ثم حملت طفلها وانصرفت .

مدينة الذهب

منذ آلاف السنين ، كان الملك « باروباكارين » يجلس على عرش مملكة (فاردهامانا) ، التى كانت تعتبر – فى ذلك الزمن – جوهرة العالم . وعلى قدر الحب الذى كان رعاياه يكنونه له ، لما اتصف به من شجاعة وعدل واحسان ، كان أعداؤه يهابونه ويخشون بأسه . وكان الملك متزوجا من امرأة تمتاز بجمال خارق يحاكى جمال البرق حين يلتمع وسط كتل السحاب الدكناء . **بيد أنها كانت تختلف عن البرق فى أنها كانت مخلصة ، لا يعتور عواطفها تذبذب أو وهن !**

ولم تلبث الملكة أن أنجبت لزوجها طفلة ورثت عن أمها سحرها وفتنتها ، وكأنما لم يكن من هم الخالق – حين صاغها على تلك الهيئة الباهرة – الا اذلال كبرياء آلهة الجمال ! .. وأطلق الزوجان عليها اسم «كانكاريخا» .. أو أكليل الذهب ، على اسم امها .

وبمرور السنين ترعرعت الطفلة وبلغت طور النساء . واختلى الملك – ذات يوم – بزوجته وقال لها : «لقد شبت ابنتنا – يا سيدتى – وبلغت سن الزواج . ومن ثم فان القلق يساورنى على مصيرها ، حتى ناء قلبى بالهموم ! .. ان العذراء الشابة – ذات الحسب والنسب ، سليلة العائلات العريقة – التى لا تجد لها مكانا مناسبا تستقر فيه ، انما تشبه أغنية ذات نغمات ناشزة ، يؤذى رنينها الآذان ! .. فماذا يكون الحال لو أن التوفيق جانب أبويها

فى اختيار زوج مناسب لها ، فمنحاها لرجل تافه ليس جديرا بها ؟ ان مثل هذا الزواج لا يؤدى الى فضل أو شرف ، وانما الى حزن وندم الى أبد الدهر . هذه هى المشكلة التى تثقل قلبى ولا أعرف لها حلا : **الى من من الملوك الذين تقدموا طالبين يد ابنتى ينبغى أن أزوجها ؟ وكيف يمكننى أن أعرف منهم الشخص الجدير بها ، والذى لن يألو جهدا فى اسعادها ؟ »**

فابتسمت الملكة وقالت : « أهذه هى المشكلة التى تقض مضجعك ، بينما الفتاة ذاتها ترفض مجرد التفكير فى الزواج ؟ لقد فاجأت اليوم ابنتنا « اكليل الذهب » وهى تصنع لها دمية ، فلما سألتها مازحة : « متى يتم الزفاف ؟ » ، أجابتنى بقولها : « لا تفوهى بمثل هذا الكلام يا أماه . اننى لن أتزوج أبدا ، بل سأظل عذراء الى أن اموت . ان القدر يمنعنى من الافتراق عنكما ، وسأظل أعيش فى كنفكما ، وسأكون مصدر سعادتكما ، ولو عشت بينكما عذراء ! .. أما اذا أرغمتمانى على الزواج ، فاننى سأموت لا محالة . وثمة سبب لذلك ! » . وقد اضطربت لكلماتها اضطرابا فظيعا ، وبادرت بالمجىء اليك لانهى لك الامر . اننى لاأملك الا أن أتساءل هل من الحكمة أن تقهرها على أمر ضد ارادتها ؟ »

فلما سمع الملك هذه القصة من شفتى الملكة اضطرب قلبه وتكدر باله . ولم يتردد فى الذهاب الى جناح ابنته قائلا : « ماذا أسمع يا ابنتى الحبيبة ؟.. **أحقا ترفضين الزواج ، والالهات والحوريات لا يترددن فى ملاقاة كل عناء من أجل العثور الكاعلى زوج ؟ »** ، فغضت « اكليل الذهب » من نظرها احتراما لابيها ، ثم قالت : « لست راغبة فى

الزواج يا أبى . الآن على الاقل . لماذا تدع هذا الامر يقلقك ، فتلح فيه ؟ »

وكان الملك « باروباكارين » ملكا حكيما ، خبيرا بشئون الدنيا ، فأجابها قائلا : « انى للمرء أن يكفر عن ذنوبه وخطاياه ، اذا لم يبذل كل ما يسعه من جهد ليدبر لابنته زواجا موفقا ؟ ان أحدا لم يسمع بفتاة استغنت عن رعاية الرجال ، فقد خلقت المرأة لتعيش فى كنف رجل سواء أكان زوجها أو أباها . بل أن المرأة تولد وقد خط اسم زوجها فى لوحة قدرها ! ان أبويها يرعيانها لفترة محدودة تنتهى حتما ، لتتوجه بعدها الى بيت زوجها . ان الفتاة التى لا تتزوج ليس من حقها أن تعتبر بيت والديها بيتها ، بعد انقضاء طفولتها . **ويجب أن تدركى – يا ابنتى – ان الفتاة اذا ظلت عانسا فان أنوثتها لن تلبث أن تخبو بمرور الايام، حتى اذا تزوجت آخر الامر ، لا يفوز زوجها عندئذ الا بهيكل عظمى ، مجرد من أحاسيس النساء ! »**

وأمام الحاح الاب ومنطقه ، لم تجد الفتاة بدا من التصريح بمكنون فؤادها ، فقالت له : « اذا لم يكن من الامر بد ، **فلا مانع لدى من الزواج من أى نبيل أو برهمى يتقدم طالبا يدى ، على شرط أن يكون قد زار مدينة الذهب!** .. هذا الرجل – ولا شخص غيره – هو الذى أقبله زوجا! وعبثا تحاول أن تغرينى على التنازل عن هذا الشرط !»

وراح الملك يناجى نفسه قائلا : « لا بأس . اننى أعتبر نفسى محظوظا ، اذ اقتنعت ابنتى – على الاقل – بالفكرة! .. ان الشك يراودنى أحيانا فى أنها الهة هبطت – لعلة ما – الى الارض لتولد تحت سقف بيتى ! .. والا ، من أين لها كل هذه الحكمة وهذا العلم ؟ انها لا تعدو أن تكون طفلة!»

وفى اليوم التالى عقد الملك مجلس وزرائه ، وسأل الحاضرين : « أيوجد بينكم من زار مدينة اسمها (مدينة الذهب) ؟ اذا كان أحدكم يعرف برهميا أو نبيلا زار هذه المدينة ، فانى على استعداد لان أهبه ابنتى لتكون زوجته، وأتنازل له عن العرش ! » .. وراح كل من الحاضرين ينظر الى الآخر فى دهشة ، ثم قالوا : « كلا يامولاى . بل اننا لم نسمع بهذه المدينة قبل اليوم ! »

وما أن انفض المجلس حتى أمر الملك بأن يخرج المنادون الى طرقات المدينة ، منادين – على صوت قرع الطبول – ان كان أحد قد زار مدينة الذهب . وطاف المنادون صائحين : « ياقوم ، ان كان بينكم من زار مدينة الذهب ، سواء أكان برهميا أو نبيلا ، فليتقدم الى الملك الذى سيزوجه من ابنته الاميرة « اكليل الذهب » ويتنازل له عن عرشه ! »

وقد قوبل اعلان الملك بدهشة من جميع الذى سمعوه، وراح الناس يسألون بعضهم البعض قائلين : « أين تقع مدينة الذهب هذه التى يعلنون عنها ؟.. ان أحدا منا لم يسمع بها من قبل ، وحتى العجائز منا لم يقع بصرهم عليها ! »

***

وفى ذلك الوقت ، كان أحد البرهميين الشبان يدعى « ساكيتديفا » يعيش فى مدينة (فاردهاماتا) . وكان يافعا غريرا ، فأطلق العنان لشهواته ، وأفنى فى لعبة النرد – فى فترة وجيزة – كل ما ورثه عن أبيه . وكان قد خرج لتوه من احدى نوادى القمار بعد أن خسر آخر ماتبقى

لديه من مال ، حين سمع المنادين يصيحون بأن الملك مستعد لان يزف ابنته لرجل زار مدينة الذهب . وعلى الفور تفتق ذهنه عن فكرة خبيثة ، فقال لنفسه : « **لقد خسرت كل ثروتى ، ولم يعد لدى ما أقامر به بعد اليوم ، ولم اعد أجد ترحيبا من احد . لقد طردنى أعمامى من المنزل ، وأغلقت الحانات والمواخير ابوابها فى وجهى ، ولست أملك مكانا ابيت فيه . فماذا أخسر لو اننى زعمت اننى قد زرت مدينة الذهب هذه ؟ ان احدا لم يذهب اليها ، فكيف يستطيعون أن يكتشفوا خديعتى ؟ .. ولربما ظفرت بالاميرة والعرش بهذه الطريقة ! »**

واستجمع شتات شجاعته ، واتجه نحو المنادين ، مطلقا أكذوبته ، وقال لهم « لقد زرت مدينة الذهب » . فقال المنادى : « مبارك أنت بين الرجال . هلم بنا الى رئيس الحجاب » . واستقبل رئيس الحجاب أكذوبته باحترام وتبجيل ، فلما مثل ذلك الافاق فى حضرة الملك لم يتلعثم ، بل كرر زعمه بجنان ثابت . **فما هو الامر الذى يحجم عن أدائه انسان فقد كل ثروته فى القمار ؟!**

واستدعى الملك ابنته لتستمع الى أقوال الفتى . فلما حضرت سألته : « أحقا تعرف مدينة الذهب ؟ » ، فأجابها قائلا : « أجل . لقد مررت بهذه المدينة ـ منذ زمن بعيد ـ أثناء تنقلى بين بلدان العالم المختلفة طلبا للعلم والمعرفة ! » ، فسألته : « اذن ، صف لى الطريق اليها ، وشكل هذه المدينة » ، فأجابها بقوله : « لقد قمت من هنا قاصدا مدينة (هارابورا) ، ومنها يممت شطر جبال البنارس ، وهنالك قضيت ثلاثة أيام ثم اتجهت صوب مدينة (بوندرافاردهانا) ، ومنها ذهبت الى مدينة الذهب .

أجل ، لقد شاهدت المدينة . انها بمثابة الفردوس للذين أوتوا فضلا عظيما . وهى تشبه فى روعتها وبهائها جنة ((اندرا)) التى يعشى ضياؤها ابصار الناظرين ، ما عدا أبصار الآلهة الذين لا يتحرك لهم جفن ! .. هذه هى الطريق التى سلكتها اليها ، وهذا هو شكل المدينة كما رأيته ! »

حتى اذا فرغ البرهمى من سرد قصته الوهمية ، ابتسمت الاميرة فى وجهه بحبور ، ثم قالت : « صدقت أيها البرهمى العظيم . لقد أقمت الدليل - فعلا - على معرفتك بالمدينة . ولكننى أرجوك أن تعيد شرح الطريق التى سلكتها ! » ، ومرة أخرى انطلق البرهمى يشرح الطريق ، لكنه بذل عناية أعظم - هذه المرة - فى تنميق قصته ، واضفاء جو الصدق عليها ، حتى اذا انتهى منها أمرت الاميرة وصيفاتها بالقائه فى الخارج !

ودهش الملك لتصرف الاميرة ، ثم سألها : « ماذا ؟ ألم يكن البرهمى صادقا ؟ » ، فأجابته الاميرة : « كلا ياأبى . بل لا توجد كلمة صدق واحدة فيما قال . أن أمرك عجيب يا أبى ، فبالرغم من أنك تدير شئون الدولة بمهارة وحذق لاينكرهما عليك أحد ، فانك تتصرف - أحيانا - بغير تفكير . ألا زلت تجهل أن العالم ملىء بالمحتالين والافاقين الذين يتفننون فى نصب شباكهم كى يوقعوا فيها السذج والامناء من الناس ؟ .. لقد حاول ذلك البرهمى أن يخدعنى ، لكن أمره لم يلبث أن انكشف ، فأدركت أنه لم تطأ قدماه يوما (مدينة الذهب) . لذلك أنصحك يا أبى بألا تتعجل فى محاولة العثور على زوج لى . أما أنا فقد قررت من

جانبى أن أظل عذراء الى أن يتجلى ما سطر لى فى لوح القدر !»

لكن الملك ألح عليها قائلا : « ليس طيبا - يا ابنتى - أن تظل الفتاة عذراء فترة طويلة . ان أشرار القوم - الذين لا يؤمنون بحرمة ، والذين تغضبهم فضيلة الفاضلين - لا يملون ترديد الاشاعات الخبيثة عن الفتاة التى تظل بلا زواج . لأنهم يجدون أعظم متعة فى تشويه سمعة الناس الطيبين . ألم تبلغك قصة هاراسفامين ؟ اذن فانصتى:

***

«كانت مدينة الزهور تقع على ضفاف نهر (الجانجز) . وكان راهب يدعى « هاراسفامين » يقيم فى هذه المدينة ليستفيد من بركات النهر المقدس . وقد اتخذ من كوخ صغير - شيده على ضفة النهر - مسكنا له ، وهيكلا يتعبد فيه . وكان يعيش على الصدقات التى يجود بها أهل الخير عليه . وقد اشتهر بالتدين والتقوى والعزوف عن شهوات العالم وملذاته .. وأكسبه تصوفه الخارق للعادة حب جميع سكان المدينة وعطفهم . وقد خرج ذلك الراهب من صومعته - ذات صباح - ليتسول طعامه ، وكان رجل شرير يقف بين جمهرة كبيرة من الناس ، فما لمحه من بعيد حتى قال لمن حوله : **« ان هذا الراهب الذى يتظاهر بالتقوى والتدين منافق كبير . ألم تسمعوا بنبأ الاطفال الذين يختفون من منازل ذويهم فلا يعثر لهم على أثر ؟ حسنا ، لو تقصينا الامر لعرفنا أنهم جميعا قد انزلقوا الى معدة هذا الراهب ، فهو يتغذى بلحم الاطفال ! »** ، وسرعان ما انضم اليه رجل ثان لا يقل عنه خبثا ، فقال : « أجل ،

لقد سمعت الناس يرددون عنه ذات الامر ، على أنه حقيقة لا مراء فيها ! » .. ولم يلبث ثالث أن أكد ادعاءهما قائلا: « نعم . لقد نطقتما صدقا !»

« وكأن سلسلة حديدية قد التفت وضاقت حلقاتها حول عنق الرجل المظلوم ، فسرعان ما انتقلت الشائعة الذميمة من فم الى فم ومن لسان الى لسان ، حتى استفحل أمرها فانتشرت فى كل أرجاء المدينة ، **وكان من نتيجتها أن باتت النساء يغلقن أبواب بيوتهن على أطفالهن ، خوفا من أن يختطفهم ((هاراسفامين)) ويلتهمهم أحياء .**

« وقد خشى البرهميون الثلاثة أن يفتضح أمر وشايتهم الدنيئة ، فقرروا - فيما بينهم - أن يتخلصوا منه بطريقة حاسمة ، فعقدوا اجتماعا عاما حضره معظم أهل المدينة ، وأصدروا قرارا اجماعيا بنفى الراهب من المدينة . بيد أن واحدا من الوفد الذى اختير لتنفيذ الحكم لم يجرؤ على الاقتراب من الراهب ، خشية أن يستشيط غضبا فيلتهمهم واحدا بعد الآخر !.. وأخيرا بعثوا اليه برسول منهم ، وقف على مسافة بعيدة - ليتيح لنفسه فرصة الفرار اذا اضطرته الظروف لذلك - وأنهى اليه بالحكم قائلا : « لقد أصدر عليك البرهميون أمرا بأن تغادر المدينة فورا ، والى غير عودة ! » ، فسألهم الراهب مذهولا : «وماذا ارتكبت حتى يصدر ضدى مثل هذا الامر ؟ » . فأجابه الرسول قائلا : « انك تأكل أطفالنا الصغار ! »

وقد قرر الراهب أن يكتشف - بنفسه - جلية الامر ، فاندفع وسط الحشد المتجمهر ، **وأثناء ذلك احتك كتفه بالبرهميين الثلاثة الذين روجوا الاشاعة ، فأدركهم الفزع والوجل ، وانطلقوا هاربين ثم تسلقوا جدار الدير .**

وقد كان طبيعيا أن يفروا من أمام وجهه ، لأن الرجل البرىء، الذى تروج عنه اشاعة كاذبة ، لايمكن للمرء أن يتكهن سلفا بما قد يقدم عليه ، وغالبا ما تكون تصرفاته بعيدة عن التعقل !

« ونادى هاسفارامين البرهميين الثلاثة الذين تسلقوا الجدار ، وسألهم قائلا : « ما هذه الحماقة أيها البرهميون؟ ليسأل كل منكم الآخر : « من منكم فقد طفله ؟ وكم يبلغ عدد الاطفال الذين التهمتهم ؟ » . وراح أهل المدينة يسألون بعضهم بعضا هذا السؤال ، واذابهم يكتشفون أن جميع الاطفال موجودون وأنهم أحياء يرزقون ! . واذ ذاك هتف الجميع قائلين : « **لقد اتهمنا رجلا قديسا ، من جراء غفلتنا وحماقتنا. ان جميع الاطفال يلعبون فى الشارع ، لم ينقص منهم واحد . فمن هم الذين التهمهم الراهب اذن ؟ »**

«وهكذا ثبتت براءة الراهب بالبرهان القاطع ، ولكنه صمم على الرحيل عن المدينة ، اذ ما هى اللذة التى يجدها الانسان فى البقاء فى مدينة شريرة تجردت قلوب أهاها من الرحمة ، وتجردت عقولهم من الصواب ؟! .. لقد انقلبوا جميعا ضده لمجرد شائعات حقيرة رددها فريق من اللصوص الحاقدين !.. فلما أدرك أهالى المدينة عزمه على الرحيل دفعهم الندم الى الركوع تحت قدميه ، متوسلين اليه أن يبقى ، ولم ينجحوا فى مسعاهم هذا الا بعد عناء كبير ! »

***

وختم الملك قصته قائلا : « ان هذا يثبت لك ـ بمالايدع مجالا للشك ـ ان قلوب الاشرار تحاول دائما الايقاع بكل من اتصف بالاخلاق القويمة ، فهم يناصبونه العداء ويروجون

عنه الاكاذيب ، بل انهم – فى بعض الاحيان – يلفقون له الاتهامات ! . وحين تحين لهم سانحة – مهما ضؤلت – يبادرون باشعال نار الفتنة ، ويذكونها بأن يصبوا فوقها دلاء مملوءة بالزيت السائل ! .. والآن ، هلا تراك راغبة فى نزع هذه الشوكة من جسدى ؟ اذن عليك أن تبذلى غاية جهدك لتفويت الفرصة على أولئك الأشرار الذى يتحينون فرصة تفتح أنوثتك لترويج الشائعات الذميمة عنك .. وذلك بأن ترتبطى – بأسرع ما يمكن – بشاب يليق بك !»

ولكن الاميرة لم تقتنع بالادلة التى ساقها أبوها ، بل واصلت جدالها قائلة : « اذا كنت ترى أن هذه هى الطريقة الوحيدة ، اذن فاعثر لى على نبيل أو برهمى يكون قد زار مدينة الذهب ! » .. ولم يجد الملك تفسيرا لعنادها واصرارها على هذا الشرط ، سوى أنها لابد قد احتفظت ببعض الذكريات من حياتها السابقة . ولم يجد الملك مندوحة من اذاعة الاعلان ذاته – كل يوم – على دقات الطبول ، عسى أن يكون أحد الوافدين الجدد الى المدينة قد زار مدينة الذهب . الا أن الايام انقضت ، يوما بعد يوم ، ولم يتقدم اليه أحد !

***

وفى تلك الاثناء ، كان الشاب البرهمى « ساكتيديفا » – الذى طردته الاميرة شر طردة – يحدث نفسه قائلا : « ان أكذوبتى لم تنطل عليها ، ولم تؤد الا الى احتقار الأميرة لى وخسارتى اياها !.. لذلك يجب أن أسعى لاصلاح هذا الخطأ ، وأن أعمل للفوز بها عن جدارة !.. اننى سأجول على ظهر الارض حتى أعثر على هذه المدينة

أو أهلك دونها !.. فما جدوى حياتى الآن ؟ أما اذا تكلل سعيى بالنجاح ، فسيكون بوسعى أن أعود لأطلب يدها ، مكافأة لى على المغامرة التى قمت بها ! »

وبدأ الشاب رحلته من مدينة (فاردهامانا) ، موليا وجهه شطر الجنوب . ولم يلبث الرحالة أن وصل الى الادغال الكثيفة التى تقع فى جبال (فاندهيا) العالية علو أمانيه وأحلامه ! وسار فى طريقه مخترقا الغابة ، وكانت الشمس تصليه بلهيبها ، لكن النسيم العليل الذى كان يداعب أوراق الأشجار لطف الجو حوله .. وكانت تصل الى أذنيه صيحات الألم الصادرة من الغزلان والظباء والقرود حين تفترسها الاسود وغيرها من الحيوانات المتوحشة ، وكأنما كانت الغابة تصرخ محتجة على نهب اللصوص ثرواتها !.. وفوق الصحراء الجرداء كان الهواء يهب عنيفا ، وقد بدت أغصان الأشجار كأنها تنحنى تحت وقع السياط الفظيعة التى تسلطها الشمس عليها !

واستغرقت رحلته أياما ، قطع خلالها مسافة طويلة ، سائرا على قدميه خلال فلوات خلت من الماء تماما ، وتحيط به الأخطار من كل جانب . بيد أنه ما لبث أن صادف — فى بقعة منعزلة — بحيرة متسعة ، تفيض بماء عذب ، صاف .. وخيل اليه أن البحيرة لو دخلت مباراة بين البحيرات لفازت — بلا شك — بلقب ملكة البحيرات : كانت أشجار اللوتس تحيط بها ، وفوق سطحها تسبح أوزات رشيقات تهز أذيالها فى مرح وطرب ! .. وعلى الفور خلع ملابسه وهبط الى البحيرة ليتمتع بحمام منعش . وفيما هو لاه ينثر رذاذ الماء من حوله وقد استخفه طرب لا يليق برجل بالغ ، لمح على الضفة الشرقية ديرا تحيط به أشجار ظليلة محملة

بالفاكهة الشهية . فخرج من الماء متجها نحو الدير . وهناك شاهد راهبا كهلا يدعى « سورياتاباس » جالسا أسفل شجرة « أزفاتا » وقد أحاط به رهط من النساك ، وازدانت أذناه بقرطين من الخرز ، تمثل كل خرزة منهما قرنا من عمره .

فانحنى « ساكتيديفا » أمام الراهب الذى رحب به عارضا عليه ضيافته ، ثم قدم اليه غداء يتألف من الفاكهة وبعض جذور الأشجار ، وغيرها من طعام الغابات ، حتى اذا فرغ من تناول غدائه سأله الراهب : « من أين أتيت يا بنى ، والى أين تذهب ؟ » ، فأجابه « ساكتيديفا » قائلا : **« جئت من مدينة (فاردهامانا) ، وقد آليت على نفسى بقسم رهيب أن أذهب الى مدينة الذهب . غير أنى لا أعلم الطريق الى هذه المدينة . فاذا كنت تعرف موقعها أرجو أن تخبرنى به ! »**

فقال له الراهب : « لقد عشت فى هذا الدير ثمانية قرون ، لم أسمع خلالها عن مدينة بهذا الاسم ! » ، وقد أسلمته اجابة الراهب لليأس والقنوط ، فقال : « اذن لم يعد أمامى سوى أن أقضى حياتى فى التجول من مدينة الى أخرى حتى أموت ! » .. ورثى الراهب لحال الفتى ، فراح يستدرجه فى الحديث حتى باح له بالقصة بحذافيرها . وعندئذ قال له الراهب : « على بعد ثلاثمائة فرسخ من هنا تقع دولة (كامبيليا) ، وفى هذه الدولة تجد جبل (أوترا) ، وفوق هذا الجبل دير ، وفى هذا الدير يعيش أخى الأكبر « ديرجاتاباس » . فاذهب اليه . انه أكبر منى سنا ، ومن ثم قد تكون لديه معلومات عن هذه المدينة ! »

وعندئذ لاح له بضيص من الامل ، فانطلق الى حيث وصف الراهب . وبعد أن قطع شوطا كبيرا من رحلته ـ اجتاز خلاله

أدغالا كثيفة ، مليئة بالأخطار ــ وصل وقد بلغ به الاجهاد مبلغه الى دولة (كامبيليا) . وهناك شرع من فوره فى تسلق جبل (أوترا) .. **وما لبث أن عثر على الراهب « ديرجاناباس » ــ معتكفا فى ديره ــ فوق قمة الجبل ، فانحنى أمامه باحترام** . وعرض عليه القديس ضيافته ، فامتلأ فؤاده فرحا ، وقال : « يا سيدى المبجل . لقدخرجت فى رحلة قاصدا مدينة الذهب . وهى المدينة التى سمعت باسمها من أميرة بلادنا . وقد أقسمت قسما ــ لا رجوع فيه ــ أن أعثر على هذه المدينة . وقد أوفدنى الحكيم « سورياتاباس » اليك ، كى تدلنى عليها ! » .. فأجاب الراهب : « طوال كل القرون التى عشتها من حياتى ، هذه أول مرة أسمع فيها عن هذه المدينة .. ولم يخبرنى أحد من السياح المتجولين ــ الذين طالما شرفونى بزيارتهم ــ بشىء عنها . ان اسم هذا المكان لم يطرق سمعى من قبل اليوم ، ولم يقع نظرى عليه أبدا . ولابد أنها مدينة نائية جدا .. ولعلها تقع فى جزر (أرشيبيلاجو) (١) .. وبوسعى أن أدلك على الطريق اليها :

« فى وسط المحيط توجد جزيرة تدعى (أتستالا) .. وفى هذه الجزيرة يعيش « ساتيافارتا » ، وهو رئيس قبيلة من صيادى الأسماك ، وقد أوتى ثراء واسعا . وهو يسافر كثيرا الى جميع جزر « أرشيبيلاجو » .. فعساه يكون قد رأى هذه المدينة ، أو على الأقل سمع عنها . فعليك أن تذهب ــ أولا ــ الى ميناء (فيتانكابورا) ، ومن هناك

(١) أرشيبيلاجو هى أندونيسيا .

تستقل سفينة الى جزيرة (أتستالا) حيث تعيش قبائل الصيادين ! »

وشكر « ساكتيديفا » القديس على نصيحته ، ثم غادر الدير .. ومرة أخرى قطع مئات الفراسخ ، مجتازا بلدانا مختلفة ، حتى وصل – أخيرا – الى ميناء « فيتانكابورا » ، الذى يقع كطابع الحسن على جبين الشاطىء ! .. وهناك صادف تاجرا اسمه « ساموداراتا » ، وسرعان ما توثقت الصداقة بينهما . وقد دعم التاجر صداقتهما بهدايا من مختلف أنواع الطعام أغدقها على البرهمى ثم أركبه سفينته.

وفيما كانت السفينة تشق عباب المحيط ، ولم يعد بينهما وبين هدفهما سوى مسافة قصيرة ، **هب فجأة مارد من السحب والعواصف ، أسود اللون ، يلعق شفتيه بلسان من الرعد ، مطيحا بالأشياء الخفيفة عاليا ، وهابطا بالأشياء الثقيلة الى أسفل ، وكأنه القدر ذاته !..** وشبت فى المحيط أمواج عالية ، تدفعها قوة العاصفة ، كأنها جبال تحوم فوق البحر مرفرفة بجناحيها !.. وكانت السفينة تهبط الى أسفل ثم تصعد الى أعلا ، تشبه فى ذلك حال الاثرياء من هبوط وارتفاع ! ولم تلبث أن قفزت فى الهواء ، وصرخات الفزع تتردد بين جنباتها ، ثم انفجرت وتحطمت الى أشلاء صغيرة . وقد تمكن «ساموداراتا» – صاحب السفينة – من السباحة متعلقا بقطعة من الخشب كانت تطفو فوق الماء ، ولم يلبث أن انتشلته سفينة عابرة .

أما « ساكتيديفا » فقد سقط فى فم حوت ضخم كان يتثاءب ، فانزلق فى حلقومه ووصل الى معدته !.. وقد شاء القدر أن يسبح الحوت متجها صوب جزيرة (أتستالا) . كذلك شاء القدر ذو النزوات أن ينصب خدم ملك الصيادين

« ساتيافراتا » شباكهم فى المنطقة التى وصل اليها الحوت، فلم يلبث أن وقع فى شراكهم . **وقد بوغتوا اذ شاهدوا ضخامة الحوت ، فحملوه الى الملك الذى أمر بشق بطنه ، واذا « ساكتيديفا » يخرج من جوف الحوت حيا ، وفى صحة جيدة وكأنه ولد من جديد !**

فلما زال روع الملك سأل الشاب قائلا : « من أنت ؟ وكيف وصلت الى بطن هذا الوحش المفترس ؟ من أين أتيت أيها البرهمى العجيب ؟ وما هى المغامرات الرائعة التى خضتها؟» ، فأجاب الشاب بقوله : « اننى أدعى «ساكتيديفا » : من بلدة (فاردهامانا) . وقد أقسمت أن أزور مدينة تدعى مدينة الذهب . ولما كنت لا أعرف الطريق اليها ، رحت أجول حتى بلغت أطراف الأرض القاصية . وقد علمت من راهب يدعى « ديرجاتاباس » أن هذه المدينة لابد أن تكون فى احدى الجزر . ومن ثم ركبت سفينة ورحت أبحث عن جزيرة (أتستالا) ، لكى أستفسر من الملك « ساتيافراتا » – ملك الصيادين – عن موقع المدينة . الكن العاصفة أغرقت السفينة ، فغصت الى أعماق المحيط ، حيث ابتلعتنى السمكة الرهيبة .. وها أنا ذا أمامك ! »

فأجاب الملك : « أنا هو « ساتيافراتا » ، وهذه الجزيرة هى التى تقصدها . القد شاهدت – فى حياتى – مدنا لا حصر لها ، ولكن المدينة التى تبحث عنها لم يقع بصرى عليها أبدا . غير أننى سمعت عن مثل هذا المكان ، ويقال أنه فى أطراف جزيرة (أرشيبيلاجو) » . لكنه ما أن شاهد خيبة الأمل التى ارتسمت على قسمات الشاب حتى استطرد قائلا : **« ولكن ، لا تدع اليأس يتسرب الى فؤادك ، أيها البرهمى . أمكث معنا الليلة ، وفى صباح الغد سأجد وسيلة تبلغك مقصدك ! »**

وبهذه الكلمات المشجعة أرسل ملك الصيادين البرهمى الشاب الى أحد الاروقة ، حيث القى فيه ترحيبا حارا من برهمى آخر كان يقطن الرواق ، اسمه « فيشنوداتا » . وجلس « فيشنوداتا » الى المائدة يراقب ضيفه وهو يتناول طعامه بشهية عارمة ، وراح يجاذبه أطراف الحديث ، حتى اذا فرغ الشاب من تناول طعامه ، وجه اليه مضيفه وابلا من الاسئلة عن وطنه وأسرته وظروفه ، فباح له « ساكتيديفا » بكل شيء . فما أن سمع « فيشنوداتا » قصته ، حتى ألقى بذراعيه حوله محتضنا اياه فى ود ظاهر ، ثم هتف بصوت اختلط بنشيج البكاء قائلا : **« أوه . مبارك أنت . انك ابن خالى ! .. لقد جئت من نفس بلدتك ، منذ زمن طويل ، وأنا بعد طفل . يجب أن تمكث معى هنا ، ولن يطول بك الوقت حتى تعرف أين تقع هذه المدينة ، من البحارين والتجار الذين يفدون بلا انقطاع من جزر (ارشيبيلاجو) !**

ولما تأكد « فيشنوداتا » من صلة القرابة التى تربط بينهما ، غمر ابن خالة الشاب بشتى مظاهر الضيافة ، حتى لقد نسى « ساكتيديفا » العناء الذى لاقاه فى رحلته ، وامتلأ فؤاده غبطة لعثوره على قريب له من ذلك البلد النائى ، وكأنما قد عثر على قربة من خمر الآلهة فى وسط صحراء جرداء ! .. فساده احساس بالتفاؤل ، وأدرك أنه ـ لامحالة ـ واصل الى بغيته .. ذلك لان حسن الطالع الذى وفقه الى العثور على قريبه ، كفيل بأن ينبت طالعا حسنا على طول الطريق !

***

وفى صباح اليوم التالى ، التقى « ساتيافراتا ، ملك الصيادين » ، « بساكتيديفا » فى الدير . واذ كان صادق



فهرعت « فاتنة » الى السطح ، واذا بها ترى رجلا على هيئة الاله « فيشنو » يمتطى طائرا ضخما ، ويحلق به فى السماء

(ص ١٠٨)

العزم على تنفيذ وعده الذى قطعه فى الليلة السابقة ، قال له: « أيها البرهمى . لقد خطرت لى خطة لتحقيق بغيتك : فى **وسط المحيط توجد جزيرة جميلة اسمها (راتناكوتا) . وفى هذه الجزيرة معبد شيده المحيط لعبادة الاله «فيشنو». وقد اعتاد سكان الجزيرة اقامة احتفال فى ذلك المعبد ، يتوافد اليه الحجاج من جميع جزر (الارشيبيلاجو) . ولابد أن يكون من بينهم واحد سمع بمدينة الذهب .** هلم نذهب سويا الى هناك ، فان يوم الاحتفال قد اقترب !» .. وقابل «ساكتيديفا» اقتراح الملك بفرح وغبطة ، ولم يلبث ابن خاله أن أمده بمعدات الرحلة .

واستقل الاثنان قاربا صغيرا . وكان الملك يمسك الدفة حين خرج بهما القارب الى عرض المحيط ، واجتازا فى رحلتهما خليج «كنوز الاعاجيب» ، الذى كان يغص بالحيتان الشبيهة بالجزر الطافية . وسأل «ساكتيديفا» ملك الصيادين الممسك بالدفة : « ما هذا الشىء الفاتن الذى يبدو فى الافق البعيد ، والذى تبرز قمته فوق المياه ؟ انه يلوح كجبل شاهق له جناحان، يستطيع اذا فردهما أن يخرج من أسفل الماء ! » .. فأجابه « ساتيافراتا » قائلا : « **هذه شجرة «باتيان» السماوية . ويقول الناس انها ذات جذور عريضة تمتد الى النيران المشتعلة فى أعماق البحر ! .. يجب أن نبتعد منها والا لقينا حتفنا ، فليس لنا نجاة اذا اشتبك القارب باغصانها ! »**

وفيما كانا يتحدثان ، اذا بريح عاصفة تهب على القارب وتدفعه نحو مكان الخطر . فصاح الربان قائلا : «لقد حلت نهايتنا أيها البرهمى . ما من شك فى ذلك . أنظر . لقد انحرف القارب فى اتجاه الشجرة الملعونة ، ولا أستطيع أن

أزحزحه بعيدا عنها قيد أنملة . ولن نلبث أن نجدنا بين فكى الدوامة التى لا قاع لها ، والتى تفغر فاها — وكأنه فم الموت — لابتلاعنا . ولست أهتم بما يحدث لى ، فما من انسان كتب له الخلود فى هذا العالم ، ولكن الامر الذى يحزننى هو أنك — برغم كل ما بذلت من جهد وعناء — لن تبلغ هدفك ! .. بيد اننى سأتشبث بالقارب ما استطعت ذلك ، وعليك أنت أن تحاول التعلق بأحد فروع الشجرة ، وستتيح لك قوة بنيتك فرصة للنجاة والتغلب على أهواء القدر وأمواج المحيط !»

وقبل أن يفرغ «ساتيافراتا» من قوله ، كان القارب يندفع بسرعة رهيبة نحو الشجرة . وقد استمد «ساكتيديفا» من فزعه قوة ، فقفز من القارب وقبض بيديه على أحد غصون شجرة المحيط . **أما «ساتيافراتا» فقد ضحى بنفسه لاجل ضيفه ، وسرعان ما كانت نيران أعماق البحار تصهره فى اتونها !**

ولما وجد «ساكتيديفا» نفسه بمنجى عن الخطر ، متعلقا بأحد فروع الشجرة الشامخة نحو السماء ، راح يناجى نفسه فى يأس قائلا : « اننى لم أر بعد مدينة الذهب . وقد تسببت فى هلاك ملك الصيادين ، والآن قد جاء دورى لاهلك أنا كذلك ! .. **لكن القضاء مكتوب على جبين البشر ، فمن يستطيع أن يهرب مما سطر له فى لوح القدر ؟ »**
.. وقضى الشاب طول يومه مستغرقا فى مثل هذه الافكار التى تراود المرء وهو على شفا الموت .

وعند ما أرخى الليل سدوله ، لمح «ساكتيديفا» حشدا من الطيور الضخمة تأتى من كل صوب ، وأصوات نعيقها تملأ السماء .. ثم هبطت فوق الشجرة ، فاستقبلتها

أمواج المحيط كما يستقبل المرء أصدقاءه القدامى . ومالبث «ساكتيديفا» ـ وهو مختف أسفل غطاء ثقيل من أوراق الشجرة ـ أن سمع الطيور تتحدث بلغة البشر ، وقد راح كل منها يخبر الآخر أين قضى يومه ! .. فهذا فى جزيرة ، وذاك فى جبل ، أو فى ناحية من نواحى السماء !

وقال أحد الطيور ، وهو طائر كبير السن : « لقد ذهبت اليوم الى مدينة الذهب لاقضى هناك وقتا هانئا . وغدا سأعود الى هناك مرة أخرى ، فلم أعد أتحمل بعد مشقة الطيران الطويل !» .. ونزلت كلمات الطير بردا وسلاما على قلب «ساكتيديفا» ، وكأنها رشفات من خمر الآلهة ، فأزاحت الغمة عنه وبددت من قلبه اليأس ، ومن ثم راح يحدث نفسه قائلا : « لقد نجوت ! .. **لقد تأكدت الآن أن لهذه المدينة وجودا ، ولم يبق أمامى سوى الوصول اليها .. لماذا لا أستخدم هذا الطائر الضخم مطية لى ؟** » . وأخذ ينتقل من فرع الى آخر مقتربا من الطائر ، حتى اذا اطمأن الى أنه قد أخذته سنة من النوم ، تسلق ظهره ثم اندس بين جناحيه !

وفى اليوم التالى ، بدأت الطيور تحلق فى السماء ، فنهض طائر «ساكتيديفا» وفرد جناحيه ثم حلق بدوره ـ وكأنه يد القدر ـ فى الفضاء ، تدفعه قوة جناحيه الهائلين ، حاملا «ساكتيديفا» فوق ظهره . حتى اذا وصل الى مدينة الذهب ، هبط فى حديقة وارفة الظلال ، فنزل «ساكتيديفا» بهدوء عن ظهره ، ثم انطلق متسكعا على غير هدى . وفجأة لمح امرأتين تقطفان زهورا من الحديقة ، فاقترب منهما حذرا ، ومالمحتاه حتى أجفلتا فزعتين . بيد أن « ساكتيديفا » تقدم اليهما متسائلا : «ما اسم هذه المدينة ؟ .. ومن تكونان ؟»

— هذه مدينة الذهب ، عاصمة مملكة الارواح . وتحكمها ملكة من الجن اسمها « كاندرابرابها » . ونحن بستانيتان فى حديقتها هذه ، أيها الصديق . وقد خرجنا لنقطف لها بعض الزهور !» ، فقال لهما : « تكرما بقيادتى الى حيث أمثل بين يدى مولاتكما » .

وصحبت المرأتان الشاب الى القصر الملكى ، الذى كان بمثابة مكان تتجمع فيه كل ملذات الدنيا .. فقد كانت جدرانه موشاة بالذهب ، وأعمدته محلاة بأنفس أنواع الاحجار الكريمة . فلما شاهد الخدم الشاب يقترب من القصر ، هرعوا الى سيدتهم الملكة « كاندرابرابها » ، معلنين حضور رجل من الانس ، وعلى الفور أمرت الملكة وصيفاتها أن تفتحن له الابواب . **فلما دخل راحت عيناه تلتهمان جمالها الصاعق ، الذى لا شك فى أن الخالق قد بذل فى صياغته كل ما لديه من قدرة علوية !**

ونهضت الملكة — فى دلال — عن مقعدها الموشى بالجواهر ، واستقبلته استقبالا كريما ، وهى ترمقه بنظرات تنم على أن ملاحة طلعته قد خلبت لبها ! .. ولم تلبث أن سألته قائلة : « من عساك تكون أيها الانسى الوسيم ؟ .. وكيف استطعت الوصول الى هذه المدينة المحظور على جميع الكائنات البشرية اجتيازها ؟» .. فقص عليها «ساكتيديفا» قصته بحذافيرها .. حكى لها كيف عرض حياته للتهلكة فى بحثه عن مدينة الذهب ، وكيف بلغها ، والمخاطر التى صادفها فى الطريق اليها . واستمعت اليه الملكة بذهن شارد ، مستغرقة فى أفكارها . ثم التفتت اليه فجأة ، وقالت له بلهجة تقطر ودا :

***

« **انصت** الى الآن ، وسأحكى لك قصتى يا حبيبى .. ان الذى يتولى الحكم فى هذه الدولة هو **الملك** «ساسيكهاندا»، أو فضة القمر .. وقد رزق هذا الملك بأربع بنات ، أكبرهن أنا واسمى «كاندرابرابها» ، أى القمر المتوهج ، والثانية اسمها « كاندراريكها » ، أى فلقة القمر ، والثالثة اسمها « ساسبريكها » ، أى لمسة القمر ، والرابعة اسمها «ساسيبرابها» ، أى القمر المضىء ! .. وقد نمونا وترعرعنا معا . وذات يوم خرجت أخواتى الثلاث الى نهر (الجانجز) كى يغتسلن ، بينما بقيت أنا بالمنزل منهمكة فى الدعاء للآلهة بأن ترزقنى زوجا .

« وكان أحد الرهبان — ويدعى « أجرياتاباس » — يتطهر من آثامه فى النهر ، بينما كانت أخواتى تلهون فى الماء فى مرح، شأنهن شأن مثيلاتهن من الشابات العذارى . واذا بعض رذاذ الماء يصيب الراهب ، فاستشاط غضبا ولعنهن قائلا: **« أيتها الفتيات الشريرات . ستولدن جميعكن من جديد فى عالم البشر الفانين !»** .. فلما بلغ أبى ما حدث ، ذهب الى الراهب مناشدا اياه أن يرحمهن ، لكن الراهب ضرب بتوسلاته عرض الحائط !

« وأخيرا استفسر منه أبى عن الظروف التى تزول فيها هذه اللعنة عنهن ، فقال الراهب العظيم انهن حتى فى هيئتهن البشرية الجديدة سيملكن القدرة على تذكر حياتهن القديمة ، كما يحتفظن بما للجان من حكمة . وبالفعل بارحت أرواح أخواتى أجسادهن ونزلت لتعيش فى عالم البشر الفانين . وقد حزن أبى لفراقهن حزنا عظيما، فتنازل لى عن العرش ، وذهب ليعيش فى الغابة . ومنذ ذلك الوقت صرت أنا الملكة .

«وذات يوم ، ظهرت لى الآلهة الام فى الحلم قائلة : «سيكون

لك ـ يابنتى ـ زوج من عالم الانس !» .. **ومن ثم رفضت جميع الذين تقدموا الى من عالم الجان ، مما زاد من هموم أبى وأحزانه . وقد ظللت عذراء حتى يومنا هذا مترقبة حضور ذلك الزوج الموعود** . وهاأنذا الآن أجد نفسى أسيرة جمالك الباهر ، ورجولتك العارمة ، وشجاعتك التى بدت فى اجتيازك المخاطر والصعاب . ومن ثم سأكون لك منذ اليوم ، وفى اليـــوم الرابع عشر من القمر سأتسلق الى قمة جبل (رشابها) لكى أخبر أبى بالامر . ففى مثل هذا اليوم من كل عام ، يجتمع هناك جميع رعايا مملكة الجان ، ليقوموا بطقوس العبادة للاله «سيفا» . وعندما أعود يجب أن تتزوجنى ! »

وبعد ذلك ، أكرمت « القمر المتوهج » وفادته ، وقدمت اليه ألذ وأشهى أنواع الطعام والشراب الذى يصنع خصيصا لسكان مملكة الجان . وقد وافق «ساكتيديفا» على هذا الاقتراح بينمـا كان فؤاده يرقص طربا . وعاش يرتع فى سعادة تحكى سعادة الرجل الذى لمسته عصا سحرية فغطس فى بركة من خمر الآلهة !

وعند ما حل اليوم الرابع عشر من القمر قالت له الملكة: « سأذهب اليوم الى أبى لاخبره بأمرنا ، وسأصحب معى جميع خدمى . بيد أنه لا يجدر بك أن تحس بالتعاسة لتركى اياك وحيدا فترة من الزمن ، **اذ أن بوسعك أن تستمتع بكل ما يقع فى يدك من وسائل الراحة . ولكن ، اياك أن تطأ قدماك الطابق الاوسط ، بأية حال من الاحوال ! »** ..

وعندما غادرت «القمر المتوهج» القصر ، تركت قلبها وديعة لدى الشاب الذى استولى على أفكارها !

***

ولم يجد « ساكتيديفا » وسيلة لشغل وقته أفضل من التنقل من غرفة الى أخرى من غرفها المزودة بكل وسائل الرفاهية ، وهو يتسائل عن السبب الذى حدا بالملكة أن تحظر عليه ولوج الطابق الاوسط . **وأخيرا لم يستطع أن يكبح فضوله ، فصعد الدرجات المؤدية الى ذلك الطابق .. ذلك لان ذهن المرء يتجه دائما الى الاشياء الممنوعة .** وقد تبين له أن ذلك الطابق كان يتألف من ثلاثة أجنحة منفصلة ، وقد أغلق اثنان منها . أما الجناح الثالث فقد ترك بابه مواربا ، فدفعه بيده .

وفى داخل الجناح وقع بصره على هيكل امرأة ملفوف فى ملاءة ، مستلقيا على فراش موشى بالجواهر الكريمة . **حتى اذا رفع طرف الملاءة ، وقف مذهولا وقد طالعه وجه الاميرة ((كاناكاريكها)) .. التى تركها فى مدينة (فاردهامانا) .. وكانت ترقد ميتة !**

وراح «ساكتيديفا» يناجى نفسه قائلا : « ماهذه المعجزة العجيبة ؟ .. هل تراها نعسانة أم مستسلمة للنوم الذى لا يقظة بعده ؟ .. أم لعلى واهم ، وخيالى يلعب بى ؟ .. هاهى ذى ترقد ميتة ، تلك المرأة التى تركتها — حين قمت برحلتى — حية ترزق . لكن جمالها لم يذبل بعد . فهل تراها نوبة من الهذيان شاء القدر أن يبلبل بها أفكارى ؟!» **.. ولم يلبث أن غادر هذا الجناح ودخل الجناحين الآخرين .. فاذا فى كل منهما فتاة ترقد فوق سرير .. ميتة !** .. ثم خرج الى الشرفة وقد أخذت منه الدهشة كل مأخذ ، حتى اذا نظر الى أسفل شاهد بركة صغيرة فاتنة ، وقد وقف على ضفتها جواد مطهم ذو سرج من اللآلىء ، فهبط مقتربا — فى فضول — من الجواد . وإذ لم ير أحدا بجواره ، انتابته

رغبة فى امتطائه . ولكنه ما أن بدأ يحاول ذلك حتى ركله الجواد فسقط فى البركة وغاص فى الماء . فراح يجاهد ليطفو ، لكنه حين استطاع أن يرتفع ألى أعلى ، وجد نفسه فى المدينة التى بدأ رحلته منها ــ مدينة (فاردهامانا) ــ وقد غاص فى مياه البركة التى فى حديقة منزله !

***

وعندئذ أدرك «ساكتيديفا» أن الاقدار قد حرمته من عروسه «القمر المتوهج» ، فخبا ضياء وجهه كزهرة الليل التى يذبلها ضوء الشمس . وراح يصيح قائلا : «فاردهامانا ؟ .. فاردهامانا؟ .. أأجد نفسى فى(فارداهامانا)، بعد أن كنت فى مدينة الجان ؟ .. ما معنى هذه الألاعيب السحرية ؟ .. **ويحى أنا البائس المسكين ! لقد غدر بى . ولكن ، من الذى يدرك الحكمة فى تصاريف القدر ؟»)**

وخرج «ساكتيديفا» من البركة وذهب الى منزل عمه ، متظاهرا أمامه بأنه قد اضطر الى التجول فى أنحاء البلاد كطبال ، بعد أن خسر ثروته فى القمار . وسر عمه وعائلته بعودته وأقاموا المآدب احتفالا به .

وفى اليوم التالى،غادر منزل عمه ، وذهب الى المدينة، حيث سمع ــ مرة أخرى ــ المنادين يصيحون بالاعلان القديم ، على صوت دقات الطبول : « اذا كان من بينكم من زار مدينة الذهب ــ برهميا كان أو نبيلا ــ فليتقدم ، وسيمنحه الملك ابنته وعرشه ! »

واتجه «ساكتيديفا» الى الطبال ، وقال له : « لقد رأيت مدينة الذهب ! » .. فلما قادوه الى الملك عرفه واعتقد أنه يكذب فى هذه المرة كما كذب من قبل . فقال له الشاب: « اننى مستعد لان تقتلنى لو ثبت أننى أكذب . دع الاميرة

تستجوبني !» .. وأرسل الملك خدمه ليستدعوا الاميرة ، فما وقع بصرها على البرهمي حتى قالت لابيها : «ان الفتى يكذب ثانية يا أبى !»

فقال ساكتيديفا : « انني أقول الصدق . ولو أنني كنت أكذب فاشرحي لى هذا الامر العجيب : **كيف يمكن أن أراك راقدة فى فراشك ميتة فى مدينة الذهب ، ثم أراك ــ الآن ــ هنا تتمتعين بالصحة والعافية ؟ »** .. وكان ذلك السؤال هو الدليل على صدق الفتى ، فالتفتت الاميرة الى أبيها قائلة: « حقا لقد زار هذا الرجل النبيل مدينة الذهب ، ياأبى . وسيغدو زوجي عند ما أعود الى هناك . كما أنه سيتزوج أخواتى الثلاث ، وسيتولى الحكم فى المدينة ، وسيكون صاحب أكبر سلطان فى مملكة الجان . والآن سأعود الى المدينة ، والى جسدى الحقيقى . لقد ألقى راهب على شخصيتى الاولى لعنة جعلتنى أولد من جديد فى هذا المنزل . لكنه وضع شرطا لزوال هذه اللعنة : **فما أن يقع بصر انسان من عالم الانس على جسدى فى مدينة الذهب ثم يعود ليخبرنى بذلك فى عالم الزائلين ، حتى تنزاح اللعنة عنى ، ويغدو ذلك الرجل زوجى** . لقد كنت أعرف كل هذا وكنت أذكر كل تفاصيل حياتى السابقة ! .. سأعود الآن الى مملكة الجان ، ليتحقق ما قدر لى من نصيب ! » .. وما انتهت الاميرة من قولها هذا حتى غادرت جسدها ، واختفت عن أنظار الحاضرين ، فعلت فى القصر الملكى أصوات البكاء والعويل !

***

وهكذا فقد «ساكتيديفا» زوجتيه كلتيهما ، وقد منى بشر هزيمة ، رغم أن جهوده ومحاولاته الخارقة للعادة كللت

ـ فى حد ذاتها ـ بالنجاح . حتى اذا انتابه حنين وشوق الى المرأتين اللتين شغف بهما ، راح يوجه اللوم لنفسه فيما أصابه من خيبة وعذاب . ولكنه بينمـا كان يتمشى خارج القصر ، خطر له فجأة خاطر ، فحدث نفسه قائلا : ((**لقد تنبأت الاميرة ((كاناكاريكها)) بأن النجاح سيكون نصيبى فى النهاية . فلماذا ـ اذن ـ أفقـد الامل ؟ .. ان النجـاح يتوقف على شخصية الانسان ، ولسوف أعود الى مدينة الذهب ، متبعا ذات الطريق التى سلكتها فى المرة الاولى ، ولا ريب فى أن القدر سيكفل لى سبيل السلامة !**))

ورحل ((ساكتيديفا)) عن (فارداهامانا) .. ذلك لان الرجل الصادق العزم لا تثبط همته أية عقبات ، ولا ينكص على عقبيه فى منتصف الطريق ، بل يتابع سيره الى النهاية ! .. وبعد أن قطع ((ساكتيديفا)) فى رحلته شوطا طويلا استغرق شهورا عديدة ، وصل الى ميناء (فيتانكابورا) . وهناك لمح ـ بطريق الصدفة ـ ذلك التاجر الذى أبحر معه من قبل ، والذى تحطمت سفينته ، فحـدث نفسه قائلا : ((هـذا (سامودراداتا) . كيف أمكنه النجاة بعـد أن غاص فى قاع المحيط ؟ .. ولكن ، لاغرابة فى ذلك ، فأنا نفسى قدنجوت!)) .. حتى اذا اقترب من التاجر عرفه هذا على الفور ، فاحتضنه بين ذراعيه فى غبطة ، ثم صحبه الى داره . وبعد أن بثه أشواقه ، سأله : ((كيف نجوت من الغرق بعد أن تحطمت السفينة ؟)) . فأخبره ساكتيديفا بما حدث له : **كيف ابتلعه الحوت ، وكيف وصـل الى جزيرة (أتستالا)** . ثم سأل بدوره التاجر الطيب كيف نجا ، فأجابه الاخير : ((بعد أن سقطت فى اليم ، ظللت ثلاثة أيام متعلقا بلوح من الخشب . وفجأة لمحت سفينة تمر بجوارى فصحت ، فلمحنى البحارة

وألقوا الى بحبل ثم جذبونى الى السفينة . وما أن اعتليت ظهرها حتى وقع بصرى على أبى ، وكان عائدا من رحلة طويلة الى جزر (ارشيبيلاجو) . فما رآنى حتى احتضننى وبكى من فرط الفرح ، ثم سألنى عما حدث لى ، فأجبته : **« عند ما غبت عنا مدة طويلة فى رحلتك – ياأبتاه – حسبت ان من واجبى أن أتولى تجارتك من بعدك .. وفى رحلة الى جزر «ارشيبيلاجو» غرقت سفينتى ، وسقطت فى البحر .. حتى أتيت أنت وأنقذتنى ! »**

« فقال لى أبى معاتبا : « لماذا تخاطر بحياتك فى مثل هذه المغامرة غير المأمونة العواقب ؟.. اننى ثرى يا بنى ، واننى لا أفتأ أزداد غنى . أنظر الى هذه السفينة التى أحضراتها محملة بكتل الذهب » .. وهدأت كلماته من روعى ، ثم عاد بى بسفينته الى دارنا فى (فيتانكابورا) ! »

وقضى «ساكتيديفا» الليلة فى منزل التاجر . وفى اليوم التالى قال له : « يا أمير التجار . اننى مضطر الى الرحيل – ثانية – الى جزيرة «أتستالا» . وكل ما أطلبه منك هو أن تدلنى على السبيل اليها » ، فأجابه قائلا: «ان بعض وكلائى على وشك أن يقلعوا الى هناك . وبوسعك أن تبحر معهم» .

ورحل البرهمى معهم ، ولم يلبث أن وصل الى الجزيرة ، فلمحه أبناء ملك الصيادين من بعيد ، وشاء القدر أن يتعرفوا عليه . فقالوا له : « أيها البرهمى . لقد ذهبت مع أبينا ، باحثا عن مدينة الذهب . فكيف عدت بدونه ؟» ، فأجابهم البرهمى بقوله : « لقد سقط أبوكم فى اليم ، بعد أن حطمت الامواج الصاخبة سفينته بالقرب من نيران الاعماق » .. لكن أبناء الرجل لم يصدقوه ، واحتدم غضبهم فأصدروا الاوامر لخدمهم قائلين : **« أوثقوا يدى هذا المجرم**

بالاغلال . لقد قتل أبانا .. والا كيف يبحر رجلان معا ، ويسقط أحدهما فى نيران الاعماق وينجو الآخر ؟ .. غدا سنقدمه قربانا أمام تمثال آلهة القسوة ! »

وقيد الخدم يدى البرهمى بالاغلال ، ثم ألقوه فى «زنزانة» رهيبة بمعبد الهة القسوة ، مع من سبقوه اليها ، تمهيدا لتقديمهم قربانا للآلهة التى انتفخت بطنها بآلاف الضحايا، ولم تشبع بعد .. وكانت الزنزانة مكتظة بالعظام العارية من اللحم . وقضى فيهـا «ساكتيديفا» ليلته ، يرسف فى الاغلال ، وقد فقد الامل فى النجاة . وفى غمرة يأسه ولوعته، دعا الهة القسوة قائلا : « أيتها الالهة . ياذات الفم الارجوانى بلون الشفق ، وكأنه لا يزال مخضبا بدماء المارد «رورو» الذى ذبحته .. يا من أنقذت العالم ذات مرة ! .. ياما نحة البركات ، وملبية الدعوات ! .. انقذينى ، أنا أخلص عبادك وأكثرهم طاعة .. لقد جئت من بعيـد باحثا عن الحب ، فاذا بى أسقط فى براثن أولئك الذين أضمروا لى كراهية وحقدا بغير سبب ! »

وما فرغ من صـلاته حتى استغرق فى سبات عميق . وفى الحلم ظهرت له امرأة ـ يبدو عليها الوقار والجلال ـ خارجة من «قدس أقداس» المعبد ، واقتربت منه ثم قالت له فى عطف وحنان : « **يابنى ساكتيديفا . لا تخش شيئا ، فلن يمسك أذى . ان لابنة ملك الصيادين أخت ، اسمها «بيندوماتى» .. وغدا ستراك فتشغف بك حبا ، وتشتهى أن تكون زوجا لها .. ويجب أن توافق على الزواج منها ، فهى التى ستمهد لك سبيل الخلاص** . وهى ـ فى الحقيقة ـ ليست احدى فتيات الصيادين ، ولكنها جنية من الجنيات سقطت عليها لعنة فصارت كذلك ! »

وفى الصباح ، استيقظ من نومه ليجد أمامه فتاة تقترب منه وقد تمثلت لعينيه الظامئتين كأنها كأس شهية مليئة بخمر الآلهة .. وبعد أن عرفته بنفسها قالت له بشغف : «سأطلق سراحك ، اذا أنت نفذت رغبتى .. لقد رفضت من قبل جميع الخطاب الذين وافق أخوتى عليهم .. **ولكننى ، فى اللحظة التى وقع بصرى فيها عليك ، أحببتك حبا ملك على شغاف قلبى .. وها أنذا أمامك ، ملك يديك .. فخذنى ! »**

وتذكر ساكتيديفا الحلم الذى رآه ، فوافق فى فرح على اقتراح «بيندوماتى» ، وعندئذ أطلقت الفتاة سراحه . ولم يلبث أن تزوجها بموافقة أخوتها الذين ظهرت لهم — بدورهم — الالهة الام محذرة اياهم من معارضة مشيئة أختهم .. وعاش ساكتيديفا مع الجنية — التى اتخذت جسدا بشريا — فى سعادة وهناء لا يتوافران الا كجزاء للذين تحلوا بأسمى الفضائل !

***

وذات يوم ، وقف الزوجان يطلان من شرفة منزلهما ، فشاهدا — فى الطريق — رجلا يحمل قطعة كبيرة من لحم البقر ، فالتفت ساكتيديفا الى محبوبته قائلا : « أنظرى ياعروسى ذات الخصر النحيل .. كيف سمح هذا الشرير لنفسه بأكل لحم البقر الذى يقدسه الناس جميعا فى ثلاثة أركان العالم؟»ٍ. فأجابته « بيندوماتى » : «حقا انها لجريمة شنيعة ! .. فان قدرة البقر هى التى جاءت بى الى قبيلة الصيادين ، رغم أن خطيئتى بسيطة جدا .. » ، فقال ساكتيديفا : « ياللعجب ! .. أخبرينى يا حبيبتى : من تكونين ؟ .. وكيف جئت هنا ؟ » ، وقد رفضت فى بادىء

الامر أن توضح له الامر ، ولكنه اذ ألح عليها بالسؤال ، قالت له : « حسنا ، سأقول لك كل شيء ، على شريطة ألا تبوح بالسر لاحد ، وأن تنفذ كل ما أطلبه منك » ، فأقسم لها أن يفعل ذلك .. وبدأت حديثها بما تريده أن يفعل ، فقالت : « ستتخذ لك - فى القريب - زوجة من الجزيرة . ولن تلبث هذه الزوجة أن تحبل . فاذا كانت فى شهرها الثامن ، عليك أن تشق بطنها وتنتزع منها ثمرة أحشائها ، دون رحمة ولا شفقة ! »

وبوغت ساكتيديفا بذلك الطلب الغريب ، وسألها فى دهشة وفزع : « ماذا ؟ » ، لكن زوجته استطردت قائلة : « وهناك سبب وجيه اطلبى هذا . ولكن ، اصغ الى ، سأخبرك - أولا - ما الذى جاء بى بين الصيادين : لقد كنت - فى حياة سابقة - احدى الجنيات ، ولم أكن لاعيش فى مملكة الانس ، لو الم أقضم بأسنانى - ذات يوم - قطعة من أمعاء البقر لاصنع منها وترا لقيثارتى .. فاذا بى أهبط الى مستوى البشر ، **وها أنذا أعيش اليوم بين الصيادين ، اجرد أن أسنانى أصابت قطعة جافة من أمعاء بقرة ، وقد نزلت الى هذا الدرك المهين ! !** .. فأى عقاب يخبئه القدر - الان - الذلك الذى يأكل لحم البقر ، جهارا نهارا ، دون وازع من خجل ؟ ! »

وفيما كانت تقول له ذلك ، أتى أحد أخوتها - راكضا - الى القصر ، والرعب باد على وجهه ، صائحا : « ابتعدوا حالا .. فقد انطلق خنزير برى ضخم . وفى غضبه قتل عددا كبيرا من الناس وهو متجه الى هنا » .. فأسرع ساكتيديفا وهبط من الشرفة ، ثم امتطى جواده ، وانطلق مندفعا نحو الخنزير البرى ، ممسكا برمح فى يده . ثم

أطلقه فأصابه اصابة مباشرة . فلما رأى الخنزير بطلا يهاجمه أطلق سيقانه للريح ، وما لبث أن اختفى فى أحد الكهوف . لكن ساكتيديفا لم يقنع بذلك ، واندفع خلفه ليقضى عليه . وفيما هو يجتاز مغارة شاسعة ، وقع بصره على حديقة متسعة يحيط بها سور خشبى ، وفى داخل الحديقة قصر كبير .. فلما دخل الى هناك وجد فتاة باهرة الجمال تركض نحوه فى فزع ، وكأنها حورية الغابة وقد هربت من اله الحب !

فسألها قائلا : « من أنت يا جميلتى ؟ ولماذا أنت خائفة هكذا ؟ »

— أنا «بيندوريكها» ، ابنة الملك «كاندرافيكراما» حامى البلاد ، يا سيدى الفاضل ، وأنا عذراء . لكن ماردا شريرا ، ذا عينين ناريتين ، اختطفنى اليوم — على حين غرة — من قصر أبى ، وحملنى الى هنا . ثم انتابته رغبة فى التهام اللحم ، فاتخذ هيئة خنزير برى ، ولكن بطلا عاجله برمحه . وفى هذه الاثناء هربت ، وأنا لا أزال عذراء !

— اذن ، فلماذا أنت مضطربة ؟ أنا الذى أصبت ذلك الخنزير برمحى ، أيتها الاميرة !

— **أخبرنى من أنت ؟**

— أنا برهمى . واسمى « ساكتيديفا » .

— **اذن ، يجب أن تتزوجنى !**

— ليكن .. وسأفعل .. !

قال ساكتيديفا هذا ، ثم قادها خارج الحديقة — خلال المغارة — الى داره . وهناك أخبر زوجته «بيندوماتى» بما حدث ، ثم حصل على موافقتها على زواجه من العذراء « بيندوريكها » ! .. وفيما هو يعيش مع زوجتيه ، حملت

«بيندوريكها» طفلا .. وفى الشهر الثامن من حملها ، جاءت اليه زوجته الاولى ، وقالت له فى خلوة : **«اتذكر - يابطلى - الوعد الذى قطعته على نفسك . هذا هو الشهر الثامن منذ حملت «بيندوريكها» ، فاذهب اليها ، وشق بطنها ، ثم انتزع الجنين منها ، فليس من شيم الرجال الحنث بالوعود!»**

وتصارعت فى قلب ساكتيديفا عاطفتان متناقضتان : حبه لزوجته ، وارتباطه بالقسم الذى أدلى به!.. ولم يجد بدا فى آخر الامر من التوجه الى مخدع «بيندوريكها»، وقد عصر الاسى قلبه ، فلما رأت زوجته الهم المرتسم على قسمات وجهه قالت له : « لماذا أنت حزين هكذا يازوجى العزيز؟.. اخبرنى : أيرجع ذلك الى أن «بيندوماتى» قد طلبت منك أن تمزق طفلى ؟ .. لكن هذا أمر لا مندوحة عنه ، فان وراءه حكمة لا تعرفها الآن ، وليس فيه قسوة على الاطلاق. ومن ثم لا ينبغى أن تأخذك بى رحمة ولا شفقة ! »

الا أن ساكتيديفا ظل مترددا . واذا بصوت من السماء يصل الى أذنيه قائلا : « يابنى ساكتيديفا .. أخرج الجنين من رحم المرأة ، ولا تخش شيئا . إقبض على عنقه ، وعندئذ سيتحول الى سيف فى يدك ! »

ولم يجد البرهمى مفرا من أن يطيع الامر الصادر اليه من السماء ، فبادر بشق بطن زوجته وأخرج منها الجنين، ثم قبض على عنقه بقبضته - كأنه يقبض على الحظ - واذا بالطفل يتحول فى يده الى سيف !.. وفى ذات اللحظة تحول البرهمى الى جنى ، وفى ذات اللحظة كذلك اختفت بيندوريكها من أمامه .. فلما رأى أنها اختفت ، هرع - بهيئته القديمة - الى زوجته الاولى - ابنة ملك الصيادين - وأفضى اليها بما حدث ، فقالت له :

« لقد كنا – يا زوجى العزيز – ثلاث أخوات ، بنات ملك الجن . وقد طردنا من مدينة الذهب بسبب لعنة صبها علينا أحد الرهبان .. وقد ولدت احدانا أميرة فى مدينة (فاردهامانا) تحت اسم « كاناكاريكها » .. وقد رأيت بنفسك كيف انزاحت عنها هذه اللعنة ، فعادت الى بلدها. ومنذ لحظة شهدت بنفسك النهاية العجيبة للعنة التى كانت تصيب «بيندوريكها » . أما أنا فثالثة الاخوات ، وقد جاء موعد خلاصى من لعنتى . وينبغى أن أعود الآن الى بلدى ياحبيبى ، فهناك ترقد أجسادنا التى كانت لنا فى عالم الجن . كما أن أختنا الكبرى «القمر المتوهج» تنتظرناهناك .. تعال معى فى الحال – بقوة السيف السحرى – الى الغابة حيث يعيش أبى كأحد الرهبان . وسيعطينا جميعا اليك كزوجات .. فضلا عن أنه سيتنازل لك عن عرشه ! »

ولما فرغت «بيندوماتى» أخيرا من الادلاءبقصتهاالحقيقية، طارت مع ساكتيديفا – خلال ممرات السماء – الى مدينة الذهب . وهناك شاهد ساكتيديفا أن الاجساد التى كان قد تركها ترقد ميتة فى الاجنحة الثلاث بالطابق الاوسط من القصر ، قد دبت فيها الحياة ! .. فلما اجتمع بزوجاته المحبوبات ، جثون جميعا على الارض أمامه . وكذلك فعلت أختهن الكبرى «القمر المتوهج» ، التى استقبلته أطيب استقبال ، وتركت عينيها تلتهمان رجولته ووسامة طلعته، بعد طول الفراق ! .. وعندما دخل القصر أثار قدومه عاصفة من الهتاف والتهليل من الخدم والحجاب .

وقالت له « القمر المتوهج » : « ياسيدى الفاضل . هذه أختى «كاندراريكها» « فلقة القمر » التى عرفتها فى مدينة (فاردهامانا) باسم الاميرة « كاناكاريكها » .. وهذه أختنا

الوسطى ساسبريكها «أى لمسة القمر » التى تزوجتها فى جزيرة (آتستالا) باسم «بيندوماتى» ابنة ملك الصيادين .. أما هذه فأصغرنا ساسيبرابها ، أى « القمر المضىء » ، التى أصبحت زوجتك باسم « بيندوريكها » ، بعد ان أنقذتها من المارد الذى اختطفها .. والآن ، تعال معى لتقابل آبانا . فاذا ما وافق على زواجنا منك ، اياك أن تؤخر مراسم الزواج ! »

هكذا نطقت « القمر المتوهج » بلسان ملك الحب .. بلهفته وجرأته ! .. وانطلق ساكتيديفا فى صحبتهن الى الغابة حيث يعيش أبوهن . وعلى الفور القين بأنفسهن تحت قدميه ، وبحن له بمكنون قلوبهن ، ورغبة نفوسهن . وكان صوت من السماء قد أرشد ملك الجان الى السبيل الذى عليه اتباعه فى هذا الشأن ، فلم يتردد فى الموافقة — مغتبطا — على زواجهن من البرهمى الشاب . ثم تنازل له عن جميع مقتنياته وممتلكاته — التى لا حصر لها — بالمدينة ، كما أسبغ عليه كل ما أوتى من علوم وفنون . ولم يلبث أن أطلق على «ساكتيديفا» اسما جديدا يحمله فى عالم الجن الذى صار الآن أحد أفراده .. فسماه «ساكتيفيجا» .

والى ساكتيفيجا توجه الملك بحديثه قائلا : **((لن يستطيع أحد أن يقهرك . الا أن امبراطورا سيبزغ من أسرة((فاتسا)) العظيمة ، يحمل اسم ((نارافاهاناداتا)) ، سيتسلط عليك ، وله ستنحنى !))** .. فلما فرغ الملك العظيم «ساسيكهاندا» من اضفاء بركته على زوج بناته ، أذن له بالانصراف . وظل الملك بالغابة فترة من الزمن صائما عن الطعام ، مداوما على الصلاة والعبادة ، قبل أن يلحق بحاشيته فى قصره الملكى . ودخل ساكتيديفا مع زوجاته الى مدينة الذهب ، عاصمة

مملكة الجان . وعاش هناك مستمتعا بالقصور الرائعة ـ ذات الجدران المرصعة بالذهب ـ وبزوجاته الفاتنات ، ذوات العيون المتألقة بضياء الحب ، يقضى معهن وقته متنزهين فى حدائق القصر الرائعة ، ذات الدرجات المرصوفة بالاحجار النفيسة !

زهـــرة العـــفة

يوجد فى هذا العالم ميناء مشهور اسمه (تامراليبتى) . وفى هذا الميناء عاش تاجر ثرى يدعى « دهانداتا » ، وكان محروما من الابناء . وفى ذات يوم ، استدعى بعض الكهنة وطلب منهم أن يستخدموا نفوذهم لدى الآلهة لكى يرزقوه غلاما . فأجابه الكهنة قائلين : « ان بغيتك هـذه ليست عسيرة التحقيق ، ففى وسع البرهميـين أن يقوموا بأية معجزة ، بواسطة تقديم ذبائح وقرابين معينة ! »

وبالفعل تكللت جهود البرهميين بالتوفيـق ، فلم يلبث التاجر أن ولد له ابن أطلق عليه اسم «جوهاسينا» . وبمرور السنين شب الابن وأصبح رجلا ، **فقـرر الاب أنه قد آن له أن يبحث لابنه عن زوجـة تبـدد السأم من حياته .** ومن ثم أبحر مع ابنه الى جزيرة (أرشيبيلاجو) ، لكى يبحث له عن زوجة هناك ، الا أنه تظاهر بأن التجارة كانت هدفه من هذه الرحلة !

وفى جزيرة (ارشيبيلاجو) ، طلب من شهبندر التجار « دهارماجوبتا » يد ابنته التى كان اسمها «ديفاسميتا» ـ ومعناه « التى ابتسمت لها الآلهة ! » ـ لابنه «جوهاسينا» .

بيد أن التاجر الكبير لم يوافق على هذا الطلب ، اذ كان يحب ابنته حبا عارما ، ولا يطيق الابتعاد عنها ، لا سيما وأن الذى يطلب يدها يقيم فى ميناء (تامراليبتى) ، الذى يقع على بعد أميال عديدة !

لكن الابنة الفاتنة لم تكن من رأى أبيها ، فما أن وقع بصرها على « جوهاسينا » حتى راق فى عينيها ، وخلبت مزاياه وسجاياه لبها ، فقررت أن تتزوج من هذا الشاب ، ضاربة عرض الحائط بمعارضة أبيها . ولم تلبث أن دبرت عن طريق احدى صديقاتها — لقاء مع محبوبها ، لحق الاثنان — على اثره — بسفينة غادرت الميناء تحت جنح الظلام ، حتى اذا وصلا الى (تامراليبتى) عقد زفافهما !

وبعد عامين ، مات أبو « جوهاسينا » ، فورث هذا تجارته ، وقرر أن يديرها بنفسه ، ثم فكر فى أن يقوم برحلة تجارية الى جزيرة (سيام) . **بيد أن « ديفاسميتا » لم تحبذ هذه الفكرة ، اذ كانت شديدة الغيرة على زوجها ، ومن ثم خشيت أن يقع فى غرام امرأة غيرها .** واحتار « جوهاسينا » بين مصلحته المادية ورغبة زوجته فى بقائه الى جوارها . وأخيرا اتفقا على أن يذهب الزوج الى المعبد حيث يصوم عن الطعام ، ويداوم على الابتهال الى اله المعبد أن يهديه الى الطريق السوى ! .. أما الزوجة فقد ظلت فى المنزل ، تصلى الى الاله ، طالبة ما يطلبه زوجها !

وظهر الاله « سيفا » فى الحلم لكليهما ، وأعطاهما زهرتى (لوتس) حمراوين ، ثم خاطبهما قائلا : « يجب أن يحتفظ كل منكما بزهرة فى يده . **فاذا ارتكب أحدكما جريمة الزنا وهو بعيد عن الآخر ، ذبلت الزهرة التى فى يد الآخر ! »**

.. واستيقظ كلاهما ، فاذا كل منهما يشاهد فى يد الآخر زهرة (لوتس) حمراء تشبه قلب محبوبه !

***

وحمل « جوهاسينا » الزهرة ، ثم لحق بسفينته ، بينما ظلت الزوجة فى منزلها لا تكل من النظر الى زهرتها ، لكى تتحقق من أن زوجها لا زال أمينا على عهدها . ووصل « جوهاسينا » الى جزيرة (سيام) ، حيث باشر أعماله فى المتاجرة بالاحجار الكريمة . وقد أثارت الزهرة التى لم تكن تفارق يده فضول أربعة شبان أشقاء — هم أبناء تاجر من عملائه — حين رأوا أن الذبول لم يتطرق اليها أبدا . وبرغم الحاحهم وتوسلاتهم ، رفض الشاب أن يبوح لهم بسر الزهرة !

لكن أصدقاءه الماكرين لم يعدموا الحيلة ، فاستدرجوه — ذات ليلة — الى منزل أحدهم ، **ثم سقوه قدرا كبيرا من الخمر ، حتى اذا ما لعب الشراب برأسه باح لهم بالسر .** واذ كانوا يعرفون أن تجارة الشاب فى الاحجار الكريمة ستستغرق منه شهورا طويلة ، قرروا الابحار الى ميناء (تامراليبتى) — دون أن يخبروا أحدا بذلك — لكى يحاولوا التغلب على عفة زوجة « جوهاسينا » !

فلما وصلوا الى هناك سعوا الى مقابلة عجوز من اللاتى يعملن — فى الظاهر — تاجرات متجولات بين البيوت ، وان كانت حقيقة مهنتهن هى التوفيق بين رؤوس الشبان المراهقين والزوجات اللاتى تلهى أعمال أزواجهن قلوبهم عنهن !.. واستقبلتهم العجوز بترحيب حار وأكرمت وفادتهم ، ثم سألتهم عن بغيتهم ، فأجابوها قائلين : « أيتها الام المبجلة !.. اذا نجحت فى تحقيق طلبنا ، سنكافئك مكافأة مجزية ! » ..

ولم تكن العجوز اللئيمة فى حاجة الى ذكاء كبير لتدرك طبيعة طلبهم ، فقالت : « أغلب الظن أنكم تريدون منى أن أدبر لكم موعدا مع احدى حسان المدينة . أخبرونى من هى ، ولن تعوزنى الحيلة فى احضارها اليكم . ولست أنشد منكم ــ مقابل ذلك ــ مالا ولا ذهبا ، فقد منحتنى الآلهة تلميذة نجيبة اسمها « سيدهيكارى » أغنتنى شر الفاقة والعوز ، وقد جمعت بفضلها ثروة طائلة ! »

فسألها أبناء التاجر قائلين : « هل لك فى أن تسردى علينا كيف استطعت جمع هذه الثروة عن طريق تلميذتك ؟ » ، فأجابت العجوز : « اذا كنتم حقا مشتاقين الى سماع هذه القصة ، فلا أجد مانعا من أن أقصها عليكم . انصتوا :

***

« وفد الى بلدنا من الشمال ــ منذ سنوات عديدة ــ تاجر ثرى ، كان ينفق بسخاء وبذخ ، مما جعله ملتقى أبصار جميع غانيات المدينة ، غير أنهن فشلن جميعا فى لفت نظره . بيد أن تلميذتى « سيدهيكارى » تمكنت من ولوج عتبة داره ، اذ التحقت بخدمته كوصيفة . حتى اذا اكتسبت ثقته ، سرقت كل كمية الذهب التى يحتفظ بها فى منزله ، ثم تسللت هاربة عند الفجر . الا أن طبالا لمحها وهى تغادر المدينة ، فاشتبه فى أمرها ، اذ كانت تسير بخطوات متعجلة تنم عن لهفتها الى مغادرة المدينة ، فسار فى أعقابها وقد اعتزم أن يسرقها بدوره . وكانت « سيدهيكارى » قد وصلت الى شجرة « بانيان » ، كثيفة الاغصان ، حين لمحت الطبال يسير خلفها ، فأدركت على الفور النية التى كان يضمرها لها . بيد أن سرعة بديهتها واتتها ، فنادته فى صوت ينبض لوعة وأسى ، قائلة : « لقد تشاجرت مع

زوجى ، فهربت لكى أنتحر . فهل لك – ياصديقى – أن تصنع لى من هذا الحبل عقدة ألفها حول عنقى ؟ ! »

« **فحدث الطبال نفسه قائلا : « اذا كانت هـذه المرأة تزمع الانتحار ، فلماذا أقتلها بيدى اذن ؟»** .. ولم يلبث أن ربط الحبل فى الشجرة ، وصنع فيه عقدة ، ثم صعد فوق طبلته ، ووضع رأسه داخل الحلقة وهو يقول لها : « هذه هى الطريقة ! » . وعلى الفـور ، ركلت « سيدهيكارى » بقدمها الطبلة فأطاحت بها بعيدا . واذا الحلقة تلتف حول عنقه فتزهق روحه !

«وكان التاجر – الذى جردته « سيدهيكارى » من كل ثروته – قد خرج مع عدد من خدمه ليطاردوها . فما أن اقترب من الشجرة حتى لمح الغانية تقف بجوار جثة تتأرجح فى الهواء . بيد أنها شاهدته بدورها ، فتسلقت الشجرة واختبأت بين أغصانها ، وما لبثت أن اختفت عن الانظار . فتساءل التاجر قائلا : « أتراها قد تسلقت الشجرة ؟» ، ثم أمر أحد خدمه بالصعود خلفها ، فلما وصل الخادم الى اعلى الشجرة همست « سيدهيكارى» اللعـوب فى أذنه قائلة : « لقد همت بك غراما من أول نظرة ياحبيبى. وهاقد اجتمع شملنا فى أعلى شجرة . هاك المـال الذى سرقته ، وأنا نفسى ملك يمينك ، فخذنى ! » ، ثم ألقت بذراعيهـا حوله ، وألصقت شفتيها بشفتيه ، وفجأة أطبقت بأسنانها على لسانه ، فراح الفتى يتلوى من شدة الالم ثم بصق دما!.

ورفع التاجر عينيه الى أعلى ، على صوت تأوهات خادمه، فشاهد جسده يتلوى ذات اليمين وذات اليسار ، فخيل اليه أن شيطانا قد سكن جسده . فدب الذعر فى نفسه ، وأطلق ساقيه للريح يتبعه باقى الخدم ، حتى اذا ما تأكدت

تلميذتى أن الجو قد خلا لها ؛ هبطت من الشجرة ثم عادت الى منزلى حاملة غنيمتها ! »

***

وما كادت العجوز تفرغ من سرد قصتها ، حتى دخلت التلميذة التى كان الحديث يدور عنها ، فعرفتها العجوز بضيوفها . وبعد قليل سألتهم العجوز : « أخبرونى من هى المرأة التى تبتغونها ، وأنا كفيلة بأن أدبر لكم موعدا معها!»، فأجابوها قائلين : « انها «ديفاسميتا» ، زوجة «جوهاسيتا». احضريها الى فراشنا ، وسنجزل لك العطاء ! » .. فوعدتهم العجوز خيرا ثم أعدت لهم أمكنة للرقاد فى منزلها .

ومنذ اليوم التالى ، بدأت فى تنفيذ الخطة التى رسمتها لايقاع الزوجة الوفية فى حبائلها ، فوثقت علاقتها بخدم منزلها ، مغدقة عليهم الهدايا والحلوى .. ومن ثم لم تجد مشقة فى اجتياز أبواب قصرها .. وسارت على أطراف أصابعها ميممة شطر جناح « ديفاسميتا » ، وأمام بابه شاهدت كلبة تربض الى جواره وقد قيدت فيه بسلسلة حديدية . وكانت تلك الكلبة معروفة بالجبن والوداعة ، فلم يسمع عنها أحد يوما أنها نبحت عند اقتراب غريب من القصر . بيد أنها ما وقع بصرها على العجوز حتى راحت تنبح بصوت مرتفع ، ثم هجمت عليها ، وكادت تمزقها اربا، لولا أن السلسلة حالت بينها وبين الوصول اليها !

وبلغ نباح الكلبة مسامع « ديفاسميتا » ، فخرجت لتستطلع الامر ، حتى اذا لمحت العجوز ، أرسلت احدى وصيفاتها لتعرف من هى ، ولم تلبث الوصيفة أن عادت ومعها الزائرة ، فدعتها الزوجة الى دخول مخدعها .. وهنالك قالت العجوز «لديفاسميتا» : « لقد كنت دائما متشوقة

لزيارتك ، لكن الظروف كانت دائما تحول دون ذلك. واليوم شاهدتك فى الحلم ، فصممت على المجىء ! .. **لقد سمعت أن زوجك قد هجرك وسافر بعيـدا ، ومن ثم فان قلبى ينفطر شفقـة وأسى عليك . ذلك لأن الشباب والجمـال يغدوان بلا ثمرة اذا حرما من ملذات الهوى والغرام ! »**

وهكذا راحت تتملقهـا وتتزلف اليهـا حتى تمكنت من اكتساب ثقة هذه الزوجة الشريفة ، فقضت معها – فى ذلك اليوم – عدة ساعات تثرثران معا فى شتى الشئون التى تهم النساء ! .. وفى اليوم التالى ، عادت ومعها قطعة من اللحم وقد نثرت فوقهـا مسحوقا يهيـج خياشيم الانف ويستـدر الدموع من العيون ! .. وما بلغت الباب حتى ألقمت الكلبة قطعة اللحم . وعلى الفـور ، أخـذت الكلبة تعطس بشدة وتتقاطر الدموع من عينيها بلا انقطاع . ثم دخلت العجوز مخدع «ديفاسميتا» وهى تبكى بحرقة . فلما استفسرت منها هـذه عن سبب بكائها ، أجابتهـا قائلة : « أواه يا ابنتى . اخرجى لتشاهدى كلبتك . انها تبكى . لقد تعرفت فى شخصى على احدى صديقاتها فى حياتهـا السابقة ، فلم تستطع أن تكبح دموعها من الانهمار . أما أنا فقد كنت أعرف مأساتها ، فلم ألبث أن انخرطت فى البكاء بدورى ! »

وأطلت « ديفاسميتا » من الباب وشاهدت الكلبة ، فقالت لنفسهـا متسائلة : « أية معجزة هذه ؟ .. حقا انها تبكى! » . وقالت لها العجـوز الشمطـاء : **« لقد كنا – أنا وهى – ضرتين ، فى حياتنا السابقة ، فقد كنا متزوجتين من رجل برهمى ، اضطرته مهام وظيفته كمبعوث خاص للملك لان يكثر الترحال . وفى كل مرة كان يغيب فيهـا عنا ، كنت**

التمس السلوى عن فراقه بالانطلاق على هواى ، متنقلة من أحضان رجل الى آخر !.. ذلك لأن أعظم واجب علينـــا — نحن النساء — أن نروى غرائزنا وأحاسيسنـــا ! .. وقد كوفئت على قيامى بهذا الواجب على أكمل وجه بأن بعثت الى الحياة — مرة أخرى — متمتعة بالمقدرة على تذكر كل أحداث حياتى السابقة ! .. **أما هى فقـد أهملت فى أداء هذا الواجب ، وحافظت — عن جهل — على عفتها ، ومن ثم جاءت الى الدنيا على هيئة كلبة ، الا أنها ظلت أيضـا محتفظة بقدرتها على تذكر وقائع الماضى ! »**

وعندئذ قالت «ديفاسميتا» لنفسها : «أى واجب مقدس هذا الذى تتحدث عنه المرأة ؟.. أغلب الظن أنها أتت وهى تضمر لى نية خبيثة ، فلأكن منها على حذر ! » ، ثم التفتت الى الزائرة وقالت لها : **« أيتها الام المبجلة ! .. لقد عشت حياتى حتى الآن — على شاكلتها — جاهلة بهـذا الواجب المقدس . ومن ثم يجب أن تعرفينى برجل وسيم ! »..** فأجابتها الشمطاء قائلة : « ان أربعة شبان — أبنـاء تاجر من جزيرة (ارشيبيلاجو) — يقيمون الآن فى منزلى . وليس لدى مانع من تقديمهم اليك ! » .. ثم عادت الى منزلهـا حاملة لابناء التجار بشرى نجاح مسعاها !

أما ديفاسميتا فقد نادت خادمتها ثم قالت لها : « اننى واثقة من أن أبناء التاجر هؤلاء قد شاهدوا الزهرة النضيرة فى يد زوجى ، فانتابهم الفضول لمعرفة سرها ، ومن ثم أغروه بالافراط فى الشراب ، حتى تمكنوا من انتزاع القصة منه . والآن ، قد جاء أولئك الافاقون الى بلدتنا بقصد اغوائى ، فاستأجروا هذه المرأة الداعرة كوسيطة . هيا احضرى لى قارورة من الخمر الممزوجة بمخدر (الداتورة) ، ثم اصنعى

لى قالبا على شكل مخلب كلب ! » .. فنفذت الخادمة ذلك ، ثم ارتدت ثوبا من ثياب سيدتها ، حسب تعليماتها !

وفى تلك الاثناء كان الشبان الاربعة يتنافسون فيمن يكون الاول فى الفوز بالحسناء الفاتنة ، فاختارت القوادة واحدا منهم بطريق القرعة ، وصحبته الى منزل «ديفاسميتا» حيث تركته أمام باب القصر . واستقبلته الخادمة المتنكرة على هيئة سيدتها بما يليق به من اجلال واكبار ، ثم سقته كأس الشراب الممزوج (بالداتورة) ، فلم يلبث أن سقط فاقد الوعى . وعلى الفور جردته الخادمة من ثيابه حتى غدا لا يرتدى سوى الهواء ، ثم دمغت جبينه بخاتم مخلب الكلب !

وفى النصف الاخير من الليل عاد الشاب الى وعيه ، فاذا هو ملقى على قارعة الطريق عاريا ! ..وسار فى طريقه بخطوات متعثرة ، ميمما صوب منزل القوادة ، وهو يتحسس جبينه المدموغ من لحظة لاخرى . وهناك ادعى أن كل شىء قد تم على ما يرام ، بيد أنه أفرط فى الشراب ، فانتهز بعض اللصوص الفرصة ، فسلبوه نقوده ، وجردوه من ملابسه فى الطريق عند عودته . أما الوشم الواضح على جبهته فلم يجد وسيلة لاخفائه أفضل من أحكام لف عمامته فوقه !

وفى مساء اليوم التالى لاقى ثانى الشبان نفس المصير ، وعاد بدوره عاريا وهو يردد نفس قصة زميله ، وادعى كذلك أن صداعا قد أصابه ومن ثم أحكم لف عمامته . ولم تلبث الرحى أن دارت على باقيهم فلم يبق واحد منهم بغير وشم على جبينه !

واذ حسبت الحيزبون أن خطتها قد نجحت ، اتجهت الى منزل «ديفاسميتا» لتطالبها بأجرها عن الخدمة الجليلة

التى أدتها لها ، اذ قدمت لها هؤلاء الشبان الفاتنين ! .. **فاستقبلتها الزوجة العفيفة استقبالا حارا ، ثم قدمت لها كأسا من الخمر ممزوجة بالداتورة . فلما استيقظت من غيبوبتها وجدت نفسها ملقاة فى احدى البرك وقد قطع أنفها وأذناها !**

بيد أن هاجسا انتاب « ديفاسميتا » ، فقالت لنفسها : « أليس من الجائز أن يغتال أولئك الشبان زوجى ، انتقاما لما أحق بهم من خزى وعار ؟ » ، فلم تجد بدا من الذهاب الى أم زوجها وأنهت اليها القصة بحذافيرها . فقالت لها حماتها : « لقد تصرفت تصرفا سليما يا ابنتى .. بيد أن حياة ابنى قد باتت معرضة للخطر ! » .. فأجابتها الزوجة المخلصة بقولها : « لا تخشى شيئا ياأماه ! .. فسأنقذه كما أنقذت «ساكتيماتا» زوجها ، بسرعة بديهتها ! » ، فسألتها الحماة : « وكيف أنقذت «ساكتيماتا» زوجها يابنتى ؟ .. أخبرينى ! »

***

وبدأت « ديفاسميتا » تسرد قصتها قائلة :

« يقيم فى بلدتنا اله عظيم يدعى « مانيبهادرا » ، وقد شيد له سكان المدينة معبدا فخما ، يترددون عليه فيه ليقدموا نذورهم وعطاياهم ، طالبين منه أن يحقق لهم أمانيهم . وقد جرت العادة أن يساق أى رجل ، يضبط فى ساحة المعبد مع زوجة رجل آخر ، الى السجن . وفى ذات ليلة ضبط تاجر اسمه «سامودرانا» متلبسا بارتكاب جريمة الزنا مع زوجة رجل آخر فى ساحة المعبد ، فاقتاد الحرس الرجل والمرأة الى قدس أقداس المعبد حيث ألقوا بهما مصفدين بالاغلال ، انتظارا لمحاكمتهما فى صباح اليوم التالى .

وما لبث النبأ أن وصل الى مسامع «ساكتيماتى» زوجة التاجر الوفية ، فصممت على انقاذه بأية وسيلة . وقد عمدت الى التنكر ثم اتجهت الى المعبد حيث قدمت للكاهن هدايا ثمينة ، ففتح لها أبواب الزنزانة التى حبس فيها زوجها مع عشيقته . **وهناك جعلت عشيقة زوجها ترتدى ثوبها ، وهكذا سمح لها الكاهن بالخروج حاسبا اياها الزائرة، بينما ظلت الزوجة مع زوجها** . وفى الصباح ، فوجىء الحراس الذين أتوا لاصطحاب التاجر للمحكمة ، بأن المرأة التى معه ليست سوى زوجته الشرعية . فلما علم الملك بالقصة أمر باطلاق سراح التاجر وزوجته ، وهكذا خلصت المرأة زوجها من الموت التى كان يفغر فاه لابتلاعه » .

***

وأنهت «ديفاسميتا» قصتها قائلة : « وكما التجأت « ساكتيماتى » الى الحيلة لانقاذ زوجها ، كذلك سأفعل أنا » ، ومن ثم تنكرت فى زى الرجال ، وأبحرت مع بعض وصيفاتها — وهن متنكرات مثلها — الى جزيرة (سيام) . فما أن بلغت سفينتهن الشاطىء حتى شاهدت «ديفاسميتا» زوجها متألقا وسط لفيف من التجار . وأبصرها زوجها — بدوره — من بعيد ، فوقف فترة طويلة يلتهم بنظراته جمال زوجته الباهر ، الذى بدا متألقا بالرغم من زى الرجال الذى كانت ترتديه .

لكن « ديفاسميتا » كبحت الرغبة التى اضطرمت داخل صدرها فى أن تلقى بنفسها بين ذراعيه ، وتظاهرت بعدم معرفته ، ثم اتجهت الى قصر ملك الجزيرة ، طالبة منه أن يجمع كل سكان الجزيرة أمام القصر . فاستجاب الملك لرغبتها ، والفضول يعتمل فى جوانحه لمعرفة سر هذا الطلب

الغريب . ثم قالت له «ديفاسميتا» : **« فى وسط هذا الجمع يوجد أربعة عبيد فروا من خدمتى . فأرجو من جلالتكم أن تسلموهم الى ! »** ، فأجابها الملك : « أن كل الشعب مجتمع هاهنا أمامك . فاذا كان عبيدك من بينهم ، لك أن تأخذهم » . وعندئذ أشارت الى الشبان الأربعة الذين كانوا لا يزالون يحملون الوصمة التى دمغت بها جباههم .

غير أن الملك اعترض قائلا : « لكن هؤلاء أبناء تاجر معروف ، فكيف تدعى ياهذا أنهم عبيدك؟ » ، فأجابته قائلة : **« اذا كنت لا تصدقنى ، افحص جباههم ، وستجد مخلب الكلب منقوشا عليها بوضوح ! »** .. فلم يجد أبناء التاجر مفرا من فك عمائمهم . وكادوا يموتون من فرط الخزى والخجل ، حين شاهد الجميع الوشم على جباههم . فسأل الملك «ديفاسميتا» قائلا : « أى سر يكمن خلف هذا ؟ » ، ولم تجد الزوجة الفاضلة مانعا من سرد القصة كلها . وعندئذ قال الملك : « انهم عبيدك حقا ! » ، **ثم أمر التاجر الكبير بأن يدفع للزوجة فدية باهظة مقابل اطلاق سراح أبنائه .** فعادت « ديفاسميتا » مع زوجها ـ حاملة الفدية التى تقاضتها ـ الى ميناء (تامراليبتى) ، حيث عاشا فى أتم سعادة وهناء . ومنذ ذلك اليوم ، لم يفترق العاشقان يوما واحدا ! !

(تم الكتاب)

ترقب العدد القادم من

مطبوعات كتابى

تقرأ فيه أروع قصة طويلة تدور حوادثها فى أدغال الكونغو :

فاتنة الكونغو

قصة مرأة تبحث عن الحب ، وعن معنى الحياة ، فى اطار من الصراع بين الطب الحديث والسحر الاسود .. قصة امرأة شجاعة تغامر بالصعود وحيدة الى قمة « الجبل المحرم » !.. قصة طبيبة فاتنة الجمال ، قاومت عواطفها وشهواتها لتغدق أعمق مشاعرها وحبها على أهل الكونغو .

ترقب صدورها بعد أسبوعين


نحن نقرأ لك كل شهر عشرات
العالمية، القديمة والحديثة، كى
لك كتابا من أروعها نقدمه إليك
منتصف كل شهر بنصه الكامل،
ترجمة دقيقة معتمدة مراجعة
دار "مطبوعات كتابى"
ظفرت برضائك فى أعدادها
فما هى تحفتها القادمة التى أعدتها
اقرأ التفصيلات فى الداخل
مطبوعات كتابى
يصدرها: حلمى مراد
الترجمة الكاملة
لشوامخ الكتب